جامعة الشهيد حمه لخضر – الــوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الصراع الحبشي المصري

وانعكاساته على الساحل الشرقي للمتوسط من أواسط القرن 16 إلى منتصف القرن 13 قبل الميلاد

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر

في تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبتين:

سـلاف بن نـــاصر

فوزية مسعي محمد

إشراف الدكتور

محمد رشدي جراية

لجنة المناقشة

رقم	الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
1	- أ.السعيد قعر المثرد	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
2	- محمد رشدي جراية	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
3	- أ. عمر بوصبيع	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

السنة الجامعية : 1437– 1438هـ/2016– 2017م

شكر و عرفان

" كن عالما ... فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم "

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ،

ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل وإخراجه إلى حيز النور.

عملا بقوله تعالى " و إذ تأذن ربك لئن شكرتم لأزيدنكم ..."

نشكر الله على نعمه التي لا تقدر ولا تحصى ومنها توفيقه على اتمام دراسة هذا العمل، نتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان إلى الأستاذ المؤطر الذي شرفنا بقبوله الإشراف على هذه المذكرة ، وعلى دعمه ، وتوجيهاته القيمة فجزاه الله خير الجزاء .

نتقدم بأسمى كلمات الشكر إلى كل من زرعوا فينا معاني التفاؤل لمواصلة دربنا ،

وإلى كل من يشجعنا على هذه الدراسة ، وإلى من أعاننا بدعائهم الوالدين الكريمين حفظهما الله و أطال في عمرهما .

أما الشكر من النوع الخاص نتقدم به إلى من وفر لنا تسهيلات في حصولنا على المعلومات، ونخص بالذكر إخواننا المصريين إلى جميع عمال المكتبات المصرية أما الفضل الكبير فهو من نصيب الباحثين الاثريين منهم والمؤرخين ، دون أن ننسى المترجمين فمن كان على قيد الحياة أمد الله في عمره ،ونرجو له من المولى أن يمنحه الصحة ، والتوفيق في المسار العلمي ، ومن كان متوفيا فطيب الله ثراه.

الفصل الأول

دراسة جغرافية سياسية لمناطق أطراف الصراع

المبحث الأول : دراسة جغرافية سياسية لآسيا الصغرى

المبحث الثاني: دراسة جغرافية سياسية لمصر

المبحث الثالث : دراسة جغرافية سياسية لبلاد الشام

المبحث الأول : دراسة جغرافية سياسية لآسيا الصغرى :

1-التقسيمات الجغرافية : بلاد الأناضول هي تلك المنطقة التي استقر بها المهاجرين الجدد ، وأسسوا فيها دولتهم الحيثية . تتصل هذه المنطقة من الناحية الجيولوجية بالبحر الأبيض المتوسط ، تفلصها جبال طوروس عن البلاد السورية ،[1]يمثل هذا الجزء القسم الأكبر من جزيرة آسيا الصغرى ، وهي عبارة عن هضبة مرتفعة تتدرج في الارتفاع من الغرب نحو الشرق يبلغ ارتفاعها عند الغرب أكثر من 3000 قدم وفي الشرق 6000 قدم[2]، تقع في وسط بلاد الأناضول شرقي نهر هاليس "إقزيل ارمق حاليا"[3]، تتميز أغلب أراضيها بالتضاريس المرتفعة التي تسيطر على معظم مساحة آسيا الصغرى ، و هي واسعة يتراوح طولها بين ستمائة أو سبعمائة ميل و بين ثلاثمائة وأربعمائة ميل في العرض وفي وسطها منطقة مرتفعة مستوية السطح ، ونرى حولها سلسلة من الجبال تكتنف الجزء الأكبر منها ، والتي تمثل موطن الحيثيين [4]. يحدها من الشمال مرتفعات موازية لساحل البحر الأسود الجنوبي تاركا سهلا ضيقا بينه وبين الساحل ، أما في الجنوب تحده جبال طوروس ، أما غربا يحدها بحر إيجة ، أما من الشرق تتصل بها المرتفعات الشرقية الممتدة في أرمينيا [5]. وتنقسم جغرافيا إلى أربعة أقسام :

أ- **القسم الشمالي الشرقي** : وهو موطن الحيثيين الأصلي ويجري فيه نهر هاليس "فيصل يرموق "باللغة العربية ، ويبلغ طوله حوالي 500 ميل[6]، يستمد مياهه من الجبال

1- محمود أمهز : في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، 2010 ، ص15.

2- يسري الجوهري : جغرافية البحر الأبيض المتوسط ، (د ط)، منشأة المعارف ، مصر ،1984، ص 205.

3- محمد حرب فرزت ، عيد مرعى : دول وحضارات الشرق العربي القديم ، ط2، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، سوريا ، 1994، ص174.

4- جيمس هنري بريستد : إنتصار الحضارة (تاريخ الشرق الأدنى القديم) ، تر : أحمد فخري ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2011 ، ص244.

5- يسري الجوهري : المرجع السابق ، ص ص205-206.

6 - رمضان عبده على : تاريخ الشرق الأدنى القديم و حضاراته ، ج2 ، ط1 ، دار النهضة الشرق ، 2002 ، ص3.

الشرقية حول منحدرات قمة إيزيل داغ ، الواقعة شمال نهر الفرات ، وتتجه مياهه نحو الجنوب الغربي، و ينحني في نصف دائرة حتى ينعكس اتجاهه ثم يخترق التلال الشمالية في اتجاه شمالي شرقي، ويصب في البحر الأسود. من أهم مدنه مدينة خاتوساس*(خاتوشاش).[1]

ب-القسم الشمالي الغربي : و يشمل هذا القسم فريجيا (phirygia)، ويحده شرقا نهري سانجاريوس(sangarius) ، وهاليس ، ويحده جنوبا البحيرات الوسطى والجنوبية الغربية [2].

ج-القسم الثالث : يشمل الأراضي الواقعة بين السهول الوسطى ، وبحيرات بيسيديان وتتخلله مرتفعات لا تصلح غالبا منحدراتها للزراعة أبرز مدنه جبالا (اسمها الحيثي خبالا).[3]

د-القسم الرابع : يقع عند أسفل مرتفعات طوروس الشمالية ، ويحده من الغرب مرتفعات كاراداج ، وتتجمع المياه في داخل هذا القسم في بحيرة اكجيل وهي منطقة خصبة ، ومن أهم مدنها تيانا .[4]

ويقع بين هذه الأقسام الأربعة سهل أكسيلون، ويبلغ ارتفاع السهل عن مستوى البحر حوالي 3000 قدما، وكانت أغلب أجزاء هضبة الأناضول مغطاة بالزرع و مناخها حار وجاف صيفا ممطر شتاء (انظر الشكل 1) .[5]

---

* خاتوساس : و هي عاصمة الحيثيين في بلاد الأناضول تقع على بعد حوالي 90 ميلا من شرقي انقرة الحالية عثر بين انقاضها على ألواح مسمارية تمثل السجلات الملكية يرجع تاريخها إلى القرن 13 ق- م مكتوبة باللغة الهندو اوربية . انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، ط2 ، دار العربي ، دمشق ، (د س ن) ، ص 466 .

1 - أحمد أمين سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ،(د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000 ، ص454.

2-أحمد أمين سليم : العصور الحجرية و ما قبل الأسرات في مصر و الشرق الأدنى القديم ، (د ط)، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2001 ، ص ص320 -321.

3- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص3.

4 - أحمد أمين سليم : تاريخ العراق - إيران -آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 455.

5- عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، (د م ن)، (د س ن)، ص 435 .

تميزت بلاد الأناضول بكثرة المسطحات المائية المحيطة بها وهي البحر الأسود ، بحيرة مرمرة، وإيجة ، البحر المتوسط ، والتي تتقطعها السلاسل الجبلية مما صعب اتحاد وانضمام القبائل المتعددة في شعب واحد .[1]

إن هضبة الأناضول بحكم ارتفاعها نرى حولها سلسلة من الجبال ، وعلى جانبي سلاسل الجبال توجد وديان وسهول خصبة ، وتغطي الغابات منحدرات الجبال وخاصة التي تواجه البحر الأسود أما الشواطئ الشمالية لآسيا الصغرى شرقي نهر هاليس ، فإنها مرتفعات جبلية غنية بالمعادن وخاصة الحديد . لذا فإننا نجد أن الحيثيون من أقدم الشعوب التي نشرت استعمال الحديد ، وعندما حل الحديد مكان البرونز في المناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط، أطلق على سكان الطرف الغربي من المنطقة المرتفعة في العصر الذي سبق غزوات الهندوأوربيين اسم " الأناضوليين القدماء" الذين كانوا يقطنون هذه المنطقة ، لأن من عادة هؤلاء الأناضوليين أن يهاجروا فاتجه بعضهم إلى أطراف آسيا الصغرى من ناحية الغرب.[2]

2-أصول الحيثيين و تأسيس الدولة :

إن المتأمل إلى منطقة الجبال المرتفعة في غرب آسيا ، يفهم أن خلف هذا الستار الحصين من الجبال حدوث هجرات ، وحركات إنسانية هامة جعلتها مسرحا للعديد من الحوادث التاريخية ، وفي هذه المنطقة تقدمت الشعوب النيوليتية حتى وصلت إلى عصر البرونز، وهو ما دلت عليه الأواني الفخارية[3] . في الوقت ذاته أدت الطبيعة الجغرافية إلى ظهور ملامح حضارية إقليمية متباينة إلى بروز دويلات صغيرة ميزت المنطقة في العصور القديمة، ورغم

1 – نعيم فرح : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (د ط) ، دار الفكر ، (د م ن) ، (د س ن) ، ص 3 .

2– جيمس هنري بريستد : انتصار الحضارة ، المرجع السابق ، ص ص 244– 245 .

3– المرجع نفسه ، ص 243 .

تأثير الأناضول إلا أن المناطق الواقعة شرقي الأناضول، وجنوبي سلسلة طوروس ارتبطت حضاريا بشمالي سورية وبلاد الرافدين .

بالنسبة لظهور الملامح الحضارية للحثيين فكانت متأخرة جدا حتى في عصر البرونز القديم (2300–3300 ق م)، فلم تعرف الأناضول أي تطور بارزا بسبب تباعد مراكزها الحضارية[1] .

2-1-أصول الحيثيين :

أطلق علماء الآثار و تاريخ غرب آسيا القديم على القبائل التي كانت تقطن في أواسط آسيا الصغرى خلال عصور ما قبل التاريخ اسم ما قبل الحثيين .[2]

أما عن أصولهم العرقية تكاد تجمع المصادر على أن الحيثيين من الأصول الآرية ، ولا علاقة لهم بالساميين نظرا لاختلاف لغتهم ومدنيتهم [3]؛ بيد أنهم لم يتخذوا هذا الاسم إلا بعد استقرارهم في بلاد الأناضول في الفترة (2000–2300ق– م) شرقي نهر هاليس ، أتى هؤلاء إلى آسيا الصغرى عن طريق اليونان ومضيق البوسفور[4].

انطلقت هجراتهم منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، من السواحل الشمالية للبحر الأسود نحو الأناضول [5]، و سيطروا على قوم مجاورين قدماء من الآسيويين يدعى حاتي أو

1– محمود أمهز : المرجع السابق ، ص ص60–61.

2– توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص267.

3– عبد القادر عياش : حضارة وادي الفرات (مدن فراتية ، القسم السوري) ، ط1 ، دار الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، 1989، ص 396.

4– نعيم فرح : المرجع السابق ، ص ص3 – 4.

5– محمد حرب فرزات ، عيد مرعى: المرجع السابق ، ص173.

حيثي ، واغتصبت اسمهم فأصبح اسم الحيثيين يطلق على مجموعة السكان التي نشأت من اختلاط الحيثيين القدامى بسكان بلاد الأصليين مع قبائل الآرية الجديدة [1].

هناك اعتقاد سائد بأن القبائل الحيثية استوطنت بعض مناطق آسيا الصغرى في نهاية الألف الثالث ق- م وكانت تربطها صلات قربى قوية بقبائل الكنتوم التي كانت تقطن منطقة البلقان، ونزحوا بعد ذلك إلى أواسط آسيا الصغرى من المناطق الشمالية الواقعة على سواحل البحر الأسود [2].

ورد مصطلح الحيثيين في المصادر المصرية باسم "خاتي"، وهذا الاسم نفسه أوردته التوراة ، ويقصدون به البلاد الواقعة شمال سورية[3] . كما وردت بعض الإشارات عن الحيثيين في المصادر الأشورية ذكرتها باسم "حاتي "، و كانت لهؤلاء علاقات تجارية مع الأشوريين الذين وفدوا إلى الأناضول حوالي سنة 1900ق- م .

أما الكتابات المقدسة فقد أشارت التوراة في العديد من أسفارها إلى الحيثيين وجاءت في مصطلح "حيثي" و"الحيثيون" و"حث"، وكثيرا ما يذكر الحيثيون في قائمة الأمم الساكنة لمنطقة كنعان قبل دخول العبرانيين، وتشير التوراة إلى أن الحيثيين من ذرية حث ثاني أبناء كنعان وأن إبراهيم عليه السلام قد اشترى مغارة المكفيلة* من عفرون الحيثي ، كما اتخذ عيسى امرأتين حيثيتين ، وتزاوج فيما بعد العبرانيون مع الحيثيين [4].أي أن مصطلح حيثي يفسر على انه يوجد تقارب عرقي رغم غياب معناها السياسي في المنطقة ، وأن هؤلاء لم تكن لهم أي صلة عرقية

1- نعيم فرح : المرجع السابق ، ص4.

2- رمضان عبده على: المرجع السابق ، ص6.

3- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1987، ص 172.

* مكفيلة : هي حقل في حبرون تقع فيه المغارة التي اشتراها ابراهيم من عفرون الحيثي لتكون مقبرة لأسرته ، و دفن فيها النبي إبراهيم عليه السلام .انظر أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، المرجع السابق، ص 497 .

4- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق- ايران -آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 458 .

بالأناضوليين ، ولم تكن فلسطين في أي وقت قسما من الإمبراطورية الحيثية ، و يطلق مؤلف إحدى وثائق العهد القديم اسم الحيثيين أيضا على جميع سكان البلاد من غير الساميين للدلالة على وجود عنصر حيثي بين سكان فلسطين [1].

من خلال ما أوردته يرجح أن الحيثيين من الساميين ، ولا علاقة لهم بالآريين ، وتأكد التوراة أن هؤلاء هم فرع من الكنعانيين الذين ينقسمون إلى عدة قبائل من بينهم :الأموريون، الكنعانيون ، الحيثيون، اليبوسيون *. وبعد فترة من الزمن استقرت بعض القبائل ، وسيطروا على السهول الشمالية من فلسطين ، وهو ما يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن الحيثيون ينتمون إلى الجنس السامي[2] .

-2-2-تأسيس الدولة الحيثية :

نشأت الدولة الحيثية بعد أن بدأ النظام القبلي في التفسخ في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، و قد ساعدهم على ذلك مجيء التجار الأكاديين ثم الأشوريين الذين أسسوا بالقرب من نهر هاليس مستعمرات تجارية ، و تحالفوا مع الأمراء المحليين ، واستغلوا السكان الذين يعملون في الزراعة و الرعي . وفي مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، تجرى بعض المحاولات لتوحيد القسم الشرقي من آسيا الصغرى وتم ذلك على يد الملك أنيتا[3]. وهو ما أثبتته لنا ألواح رسائلهم الطينية عثر عليها في كول تبه، ويستنتج منها أن البلاد كانت مقسمة إلى 10مقاطعات من

1- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، تر : جورج حداد ،ج 1، (د ط) ، دار الثقافة ، بيروت ، (د س ن) ، ص ص 168-169.

* اليبوسيون : وهم سكان أورشليم قبل استيلاء العبرانيين عليها بقى بعضهم في المدينة المقدسة حتى ما بعد السبي البابلي (587 – 539 ق – م) ، وهؤلاء قبيلة كنعانية من بطون العرب الأوائل ، نشأوا في قلب الجزيرة العربية واستوطنوا ديارها حوالي 3000 ق- م ، هناك اعتقاد آخر بأن اليبوسيون جنس غير سامي اعتماد على أن الاسم يبوس غير سامي . انظر محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الادنى (بلاد الشام) ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1990 ، ص 445.

2- ظفر الاسلام خان : تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981، ص24.

3- نعيم فرح : المرجع السابق ، ص4.

بينها مدينة بوروشخاندا التي تمتعت بالسلطان في بادئ الأمر، ولقب حاكمها بالأمير العظيم واتخذ كوشار عاصمة له.

بعد قهر جميع الأعداء تمكن من الاستيلاء على الجزء الأكبر من هضبة كبادوكيا*، ونقل مقر حكمه إلى نيسا.[1]

قسم المؤرخين التاريخ السياسي لآسيا الصغرى قديما إلى مرحلتين رئيسيتين هما ، عصر الدولة القديمة (1450–1600ق– م) ، وعصر الدولة الحديثة (1190–1380ق– م). [2]

نشأت الدولة سياسيا من دويلات مدن الأناضول مثل كوشار وخاتوشاش ، وكذلك بوروشخاندا بعد قيام عدة حروب بين هاته الدويلات سعت كل واحدة منها إلى توسيع ، وبسط نفوذها للفوز بالصدارة السياسية والعسكرية . إلا أن تشكيل أول مملكة حيثية لم يكن مبكرا وتحقق لها ذلك بعد اتحاد هاته الدويلات في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. ووصفت هذه الحروب في نقوش "نيشي" المدعو "أنيتا "بن بيتخا حاكم كوشار الذي أحرز الانتصار العسكري على الملك "بيوشي" ملك خاتوشاش[3] . حيث غزا هذا الملك خاتوشا وزالباونيشا، وجعل " نيشا " عاصمة دولته الجديدة ، و شتم كل من سكن مدينة خاتوشاش(خاتوساس).

يأتي من بعد أنيتا الملك لابارنا (1570–1600ق– م) الذي سعى إلى توسيع المملكة الحيثية ، وقام بإخضاع عددا من مستوطنات المناطق الخصبة في أودية جبال طوروس، وبدأ

* كبادوكيا : منطقة في آسيا الصغرى ، تقع على ضفاف نهر هاليس ، غربي الفرات الأعلى ، كان يعيش فيها قبل الألف الثالثة قبل الميلاد قوم من الساميين ، ازدهرت فيها التجارة البرية في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد . انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص ص 448 – 449 .

1 – محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر ، (د ط)، مطبعة المصري ، مصر ، 1968، ص305.

2– رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص18.

3– أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص ص483– 484 .

يمهد الطريق للتدخل في شؤون دويلات غرب آسيا [1]، وكان هذا الملك كلما عاد من معركة وذهب كل واحد من أولاده إلى المناطق التابعة لسلطته ليتولوا حكمها فذهبوا إلى خوبيشنا (khupishna)و إلى توانوا (tuwanwa)، و إلى نيناششا (nenashasha)، و إلى لاندا (landa)، وإلى زالارا(zallara) وإلى بارشوخاند (parshukhanda) ، وإلى لوشنا (lushna)، ومن خلال سياسة هذا الملك يتضح أن المملكة الحيثية اعتمدت في قيامها على ربط العلاقات الودية بين أفراد الأسرة المالكة ، وفي نص آخر ورد أن لابارناش أخضع مملكة أرزاوا *(arzawa) ، تقع في النصف الغربي من آسيا الصغرى . وعليه فإن المملكة الحيثية سيطرت على إقليم وصل أقصى حده في الجنوب .[2]

تميز الملك الحيثي عن ملوك الشرق القديم بأنه جمع في شخصه مهام الكائن والقائد العام للجيش ، والقاضي الأكبر يحكم بين الناس في منازعتهم وهو صاحب القرار في إعلان الحرب و توقيع معاهدات الصلح .

كان الوطن الأم للحيثيين مقسما إلى عدة مناطق إدارية طبقا لمجالها الجغرافي، ولعشائر كل قبيلة حيثية ، وكان لكل منطقة إدارية عاصمتها المحلية ، و لها ملكها مسؤول مباشرة أمام الملك الحيثي الأكبر.[3]

يحيط بالملك مجلس استشاري من البلاد وكان حكام الأقاليم يقومون بالحكم باسم الملك، ومن واجب كل حاكم إمداد الجيش الإمبراطوري بما يلزمه من جنود لصيانة الأمن والنظام.[4]

---

1 – توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ص268 – 269 .

* أرزاوا : هي مدينة أرثو باللغة البابلية ، و هي تضم عدة بلدان ، تقع على ساحل البحر المتوسط في الجنوب الغربي من بلاد خاتي .انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم ، ج 2 ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د س ن) ، ص ص441–442 .

2– أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 486.

3– توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 306.

4– أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ،1963 ، ص 89 .

اتبع الملوك الحيثيون في سياستهم الخارجية بجعل مناطق النصف الشمالي من بلاد الشام وبعض مناطق آسيا الصغرى تابعة له بسياسة جديدة ، وذلك بإبرام معاهدات صداقة ودفاع مشترك ، وتصبح هاته المناطق تابعة معنويا للقصر الحيثي بواسطة دفع الضرائب وإرسال الإتاوات .[1]

3-علاقة بلاد الشام بالحيثيين قبل بداية الصراع :

بينما كان أخناتون منشغلا بالأمور الدينية ، أخذت قوة الحيثيين تنمو، وتشتد في شمال سوريا في البلاد الممتدة من شاطئ آسيا الصغرى غربا إلى نهر الفرات ، وسهول سورية شرقا وحماه* جنوبا وقد أوردت الآثار ما يوضح وجود علاقات تجارية ربطت الحيثيين بسكان بلاد الشام فقد أتقن الحيثيون بعض الصناعات كصناعة الخزف ، وخاصة النوع الأحمر المنقوش الذي انتشر استعماله في إقليم كبادوكيا(cappadocia)إلى بلاد اليونان غربا ، وبلاد فلسطين وسورية وجازر** جنوبا وبلغت هذه المصنوعات مدينة جازر حوالي عام 2000ق- م[2].

هكذا يتضح أن الحيثيين اتصلوا ببلاد الشام بإقامة علاقات متينة بنيت على أساس تبادل اقتصادي ، لكن بعد تولي خاتوشيليش الحكم تغيرت الأوضاع ، و بدأ يتطلع لتوسيع حدود مملكته جنوبا وشرقا ، ولشن العديد من الحملات على "شاخويتها " الواقعة على وادي هاليس العلوي أما مدينة زالباو التي تقع في الشرق أو الجنوب الشرقي من خاتوشاش ، بعدها

1- توفيق سليمان: المرجع السابق ، ص306.

* حماه : من أقدم مدن سورية أسسها أحد أولاد كنعان ، تقع في وادي العاصي تتوسط بين الفرات و فينيقيا ، و تبعد 165 ميلا إلى الشمال من أورشليم .انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 468 .

** جازر : تقع على بعد 18 ميلا إلى الشمال الغربي من أورشليم حوت تجمع سكني بسيط منذ العصر النحاسي استمر إلى عصر البرونز تحولت إلى مدينة محصنة أواسط القرن السابع عشر قبل الميلاد دمرت في أوائل القرن الخامس عشر بعد حملات تحتمس الثالث على فلسطين .انظر فراس السواح : الحدث التوراتي و الشرق الادنى القديم ، ط3 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1997 ، ص ص 171 - 172 .

2- جيمس هنري بريستد : انتصار الحضارة ، المرجع السابق ، ص252 .

توجه إلى مدينة الخاخا أو الألخ (alalakh)[1]، واجتاز جبال طوروس في مقدمة جيشه غزا إمارة يمخاذ الأمورية التي كانت عاصمة لحلب في شمال سورية [2]، وتقدم بعدها للقضاء على مدينة أورشو* (urshu) الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات، وإلى الشمال من قرقميش تمكن من هزيمتها ، وقدمت له الضريبة ثم اتجه إلى مدينتي أجاكاليش (agakalish) وتاشخينيا (tashkhiniya) ، و في السنة الثالثة من حكمه توجه لغزو أرزاوا من أكبر منافسي الحيثيين إمتد نفوذها إلى الغرب والجنوب الغربي من خاتوشاش إلا أنه أثناء صراعه معها تعرضت حدوده الشرقية لهجمات الحوريين**، الذين سيطروا على أجزاء كبيرة من مملكته، ومن نتيجة ذلك فقد أرزوا ، واتجه نحو الحدود الشرقية للقضاء على الخطر الحوري [3]بعد أن وطد الحيثيون سيطرتهم في هضبة الأناضول اتجهت توسعاتهم إلى شمال سورية حيث المدن الغنية والأراضي الزراعية الخصبة .

هنا كانت تقوم مملكة يمخاض (yamhad) بعاصمتها حلب والألخ على نهر العاصي إلى جانب ذلك كانت هناك كركميش (طرابلس حاليا)، والدويلتان أوشوم وخاشوم اللتان تحكمان من قبل عناصر حورية قاعدتهم في الشرق من الفرات ، فكان هدف خاتوشيليش الأول من حملته ضد شمال سورية هي السيطرة على مدينة الألخ التي استطاع احتلالها وتدميرها [4].

1- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص488.

2- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص18.

* أورشو : تقع في الشمال بالقرب من كركميش حاليا في الضفة اليمنى للفرات ، انظر أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 488 .

** الحوريين : اختلف المؤرخين في تحديد أصولهم ،فهناك من يأكد أن أصلهم ما زال مجهولا ، و يأكد البعض الآخر أنهم من الاقوام الهندوأوربية ، و البعض الآخر يقول أنهم جاءوا من المرتفعات الواقعة بين بحيرة أورميه و جبال زاغروس ، و غزو شمال بلاد النهرين ، ثم اتجهوا إلى سورية الشمالية و أسسوا بها مملكة قوية و بنوا عاصمة لهم (واشوكاني) يرجح أنها تقع على نهر الخابور شرقي تل حلف و حران ،عرفت في النصوص المصرية باسم " نهارينا " ، انتشر الحوريون في سورية المنخفضة الخصيبة ووصلوا إلى فلسطين . انظر محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الأدنى (بلاد الشام)، المرجع السابق، ص ص 451 -452 .

3- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص489.

4- محمد حرب فرزات ، عيد مرعى : المرجع السابق ، ص ص 163-164.

لأن السيطرة على شمال سورية تعني بالدرجة الأولى السيطرة على حلب التي تشكل القوة الأساسية ، وبعد احتلال حلب دمر الحيثيون (كل مدن الحوريين) ، لكن لم يكن هنا واضح المقصود بذلك المنطقة المحيطة بحلب أو المدن الواقعة شرق الفرات ، وفي هذه الفترة شهدت الإمبراطورية الحيثية في العقود التالية صراعا على السلطة أدى إلى ضعف السياسة الخارجية، وتقلصت مناطق نفوذ الحيثيين .

أما حلب فقد استقلت من جديد و انفصلت منطقة كيزواتنا (كيليكية) أيضا عن الإمبراطورية الحيثية .[1]

1- محمد حرب فرزات ، عيد مرعى : المرجع السابق ، ص 164.

المبحث الثاني : دراسة جغرافية سياسية لمصر.

1-التسمية والحدود الجغرافية:

1-1 التسمية : سميت مصر في العصور القديمة بعدة أسماء منها ما يتعلق بالسمة الاقتصادية مثل لفظة كيمي ظهرت هذه التسمية في اللغة المصرية القديمة منذ نهاية الدولة القديمة (2280-2052 ق ق) ومعناها الأرض المثمرة ، تقابلها في الجهة الأخرى الأرض المجدبة التي تسمى دشرت أي الأرض الحمراء التي تميز الصحراء للتفريق بين الأراضي المحيطة بنهر النيل سواء في الشرق أو الغرب .

أما " تامرا" :تعني أرض الفأس أو الفلاحة ، يترجمها البعض بأنها أرض الفيضان وتفسير ذلك أن " تا ": معناها الأرض ، وكلمة " مرا " معناها الفأس . كما أطلق عليها كلمة " دميرة " أي وقت إصلاح الأرض .

أما الأسماء التي ارتبطت بتقسيمها الجغرافي ، فنجد مصطلح "خنو" و"كنو" لفظة "حنو" و تعني الأرض الداخلة أي الوجه القبلي و يقابلها لفظة "حز" أي الأرض الظاهرة ، وبعد ذلك أصبحت تطلق على كل مصر لأنها مكونة من كل أقطار البلاد[1].

كما سميت بـ" أخت " أي الأرض الطيبة [2]، و هي تنقسم إلى وجه بحري ويسمى بـ" تامحيت "، والوجه القبلي يسمى " تشمع "[3]. و " حور أديو " معناها شواطئ الإله حور أي شواطئ النيل [4].أما مصطلح "سبات حور" تعني مقاطعة الإله حور .[5]

1- سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ،(د ط)، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة ، 1944، ص ص6-7.

2- محمد الفتحي بكير محمد : الجغرافية التاريخية دراسة أصولية تطبيقية ، (د ط) ، (د ن)، مصر ، 1999، ص310.

3- سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية ، المرجع السابق ، ص7.

4- محمد الفتحي بكير محمد: المرجع السابق، ص310.

5- سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية ، المرجع السابق ، ص7.

في نهاية عهد الدولة القديمة أصبحت تسمى "كمي – أوتا – كمي" أي الأرض المثمرة ، وفي عهد الأسرة الثامنة عشر (1570–1304ق م) أصبح " باتا– إن– كمت" ومعناها الأرض السوداء.

و في العصر الإغريقي والروماني عرفت مصر بـ "إيجيبتوس" نسبة إلى بلدة (goptos)، وهي كلمة أشورية تعني في العربية الصقع أو القطر أو المدينة[1] .

1-2-حدود مصر الجغرافية :

ارتبط تاريخ الشعوب القديمة على مر العصور بجغرافية بلدانها ، إذ تأثرت جميعها بطبيعتها الجغرافية فطبيعة الأرض ومصادر المياه أثرت بشكل كبير في تطور الحضارات القديمة. فجغرافية مصر القديمة وحدودها وهي كما يقول عنها إسترابون* :أن مصر هو ذلك الشريط الضيق من الأراضي الزراعية التي كوّنها النيل ورواها بمائه ، هذا الشريط يمتد من أسوان حتى البحر ، ولم يكن لمصر خارج وادي النيل حدودا ثابتة خلال تاريخها الطويل [2]. تحمي مصر من الناحية الطبيعة من كل الجوانب ، فمن الشمال يحدها البحر المتوسط ومن الجنوب جنادل النيل والصحراء ومن الشرق والغرب الصحراء ، ويشق النيل طريقه للصحراء التي تشغل كل شمال إفريقية ما عدا الشريط الساحلي .

1- عبد الفتاح محمد وهيبة : الجغرافية التاريخية ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، لبنان ، (د س ن) ، ص224.

* استرابون:(63- 21 ق-م) : هو مؤرخ و جغرافي من مواطني (بونتوس) على البحر الأسود ، أقام في الإسكندرية بضع سنوات صحب الحملة الرومانية مع صديقه (اليوس جالوس) عام 25 -24 ق- م ، اهتم بدراسة جغرافية مصر بوجه عام والدلتا بوجه خاص ، تحدث عن الإسكندرية و الإقليم المتاخم لها شرقا ، بالإضافة إلى المعلومات الجغرافية والتاريخية ، فهو يمدنا بمعلومات شيقة عن المباني و العبادات خاصة التماثيل مثل تمثال امنحوتب الثالث في غرب طيبة . انظر محمد علي سعدالله : دراسات في تاريخ مصر والشرق الادنى القديم (في تاريخ مصر القديمة) ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001 .ص24.

2- إبراهيم رزقانة و آخرون : حضارة مصر و الشرق الأدنى القديم ،(د ط)، دار مصر للطباعة ، (د م ن)، (د س ن)، ص ص 58- 59 .

ارتبطت حياة المصريين القدماء بوادي النيل ، هذا ما أوحى إلى هيكاته *الجغرافي اليوناني في كلمته المشهورة "مصر هبة النيل "، فلولا وجود النيل لكانت مصر عبارة عن صحراء جرداء لذا كان طبيعيا أن يعبد المصريون القدماء نيلهم و يقدسوه ويحتفلون بفيضانه وفاء له[1] .

جزأت الطبيعة بلاد النيل إلى الوجه البحري في الشمال ، ووجه قبلي في الجنوب أو ما يعرف بـ(مصر السفلى ومصر العليا) فتقدم الوجه البحري من الناحية الحضارية عن الوجه القبلي هذا الأمر جعل المصريون القدماء يشيرون إلى مصر بأنها " الأرضين " فليس بغريب أن المصريين يعتقدون بوضوح في "ثنائية العالم" [2].

انضمت لشقا مصر العديد من المقاطعات والأقاليم (سبات في اللغة المصرية القديمة) وتدل الآثار على أن البلاد المصرية كانت مقسمة إلى أقسام إدارية منذ عصر ما قبل الأسرات، وما يشير إلى هذا التقسيم الإداري والسياسي الذي ظهر في العصر التاريخي وجود إشارات إلى أسماء المقاطعات المصرية في العصر التاريخي مرسومة على أواني الفخار، وبقيت هذه الإشارات الدالة على تلك الأقسام السياسية تدل على نفس الإقليم الذي رمزت له رغم ما حدث في البلاد من تقلبات سياسية ، و تغيرات إدارية و دينية و اجتماعية ، ووجدت أسماء المقاطعات في الوجه القبلي و الوجه البحري مذكورة في نقوش متون الأهرام تدل على أن البلاد

* هيكاته المليتي : هو جغرافي إغريقي ، اشتهر بالمليتي نسبة إلى مدينة ميلتيوس في آسيا الصغرى ، زار الكثير من البقاع ووضعها في مؤلف أطلق عليه اسم (رحلة حول البحر) كما زار مصر و تحدث عن الدلتا و فيضان النيل .انظر محمد علي سعد الله : المرجع السابق ، ص 22.

1- برهان الدين دلو : حضارة مصر و العراق ، ط1، دار الفارابي ، لبنان ، 1989، ص43.

2- سيريل الدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، تر: مختار السويفي ، ط3، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1996، ص81.

مقسمة إلى 42 مقاطعة ، 22 مقاطعة في الوجه القبلي ، 20 مقاطعة في الوجه البحري. وكانت هذه المقاطعات في الأصل إشارة لعشيرة أو قبيلة تكونت في وادي النيل [1].

أما تقسيم البلاد دعت إليه عوامل جغرافية واجتماعية واقتصادية وانتهجت كلا منها نظاما سياسيا خاصا بها ، ففي الدلتا كان نظام الحكم ديمقراطيا ، أما في الوجه القبلي فكان أرستقراطيا استبداديا[2]، ولكل قسم له إدارته يديرها مدير . أما في عهد المملكة الطيبية (3400- 2980ق- م) كانت الحكومة ملكية مطلقة قوامها ملك مؤله يمثل الإله الأعظم للقصر أي الإله "حور"، وهذا السبب في أن أول اسم ملكي هو الحوري ويكتب داخل رسم قصر يعلوه صورة إله الصقر "حور" ، ولما تم اتحاد القطرين خلدت هذه الحادثة كذكرى برمز ديني فكان يوضع الملك تحت حماية إلهيتين كانتا تقدسان في عاصمتي البلاد القديمتين.[3]

أما فيما يخص أصحاب الحضارة النقادية الثانية وعن موطنهم الأصلي ومنهج فرض حضارتهم تبلورت عدة آراء : إتجاه افترض أن أصحابها وفدوا على وادي النيل من منطقة قريبة منه مثل جبال البحر الأحمر أو شبه جزيرة سيناء أو شمال الحجاز، غير أن الراجح أن ما أثبتته الأواني الحجرية والفخارية وصور مراكب أن أصحابها كانوا من أهل الوجه البحري أي من أهل مصر [4].

ارتبط تاريخ مصر القديمة و حضارتها بوجود وادي النيل الذي يقسمها إلى جزأين شرقي، وغربي مشكلا في أعلاه دلتا ، أما الجزء الشرقي و الغربي فهو صحار، وسندرس هاته المعالم الجغرافية بالتفاصيل :

1- سليم حسن : موسوعة مصر القديمة ،ج2 ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي ، مصر، 2012 ، ص17.

2- سليم حسن: أقسام مصر الجغرافية ، المرجع السابق ، ص ص 17- 19 .

3 - سليم حسن : موسوعة مصر القديمة ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 9 .

4- عبد العزيز صالح: الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،1997، ص87 .

أولاً: وادي النيل (مصر العليا) : وهو عبارة عن شق ضيق يخترق مصر من الجنوب إلى ممفيس في الشمال و يمتد من الجندل الأول آبو (الفانتين) * إلى رأس الدلتا قرب ممفيس ، ويبلغ طوله حوالي 900 كلم ، ويتراوح عرضه بين (30-10 كيلو مترا)[1]. يشق نهر النيل الصحراء مشكلا سهلا رسوبيا غنيا يضيق تارة و يتسع تارة أخرى ، وهذا السهل هو حياة مصر عبر عنها هيرودوت* بـ" إن مصر هبة النيل" فوجودها مستمد من النيل لأن التربة المصرية الخصبة مكونة من الطمي الذي جلبه النيل بواسطة روافده العطرة والنيل الأزرق ورأسه فوق الصخور الأصلية [2]. إبان الفيضان كان يجرف جوانبه ، ويزيل التربة وينقلها من جانب إلى جانب لذلك فهو بحاجة إلى ضبط وتنظيم لوسائل الاستفادة من مياهه فكان من الضروري إقامة الجسور خلال فصل الفيضان ، وهذا الخطر علّم سكان النيل الوحدة وحسن النظام وأحكام التنظيم[3].

لكن مع مرور الوقت حفر النيل مجراه فزاد عمقه و غارت المياه ، وانخفضت تاركة أرض خصبة بين المجرى الجديد والتلال ، أما الطين الذي حملته المياه فقد كان يرسب عند المصب حتى كون الدلتا وهي سهل عظيم الاستواء يمتد حتى نهاية الوادي عند منف حتى

* الفانتين: وهو الإقليم الأول من أقاليم مصر العليا، وتسمى تاستي بمعنى أرض الآلهة " ساتت " معبودة جزيرة سهيل جنوب أسوان أطلق هذا الاسم من طرف الإغريق ربما لأنها كانت مركز تجارة العاج، يرجح أنها كانت مستقرا للفيلة في عصور ما قبل الأسرات قبل هجرتها نحو الجنوب في " آبوا" حاليا جزيرة أسوان .انظر محمد بيومي مهران: المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم (مصر) ، ج1 ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1999 ، ص 58 .

1- برهان الدين دلو : المرجع السابق ، ص 37 .

* هيرودوت (484- 425 ق-م):هو مؤرخ إغريقي ولد في مدينة هاليكارناسوس في الركن الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى، كتب عن مصر و أرضها و سكانها و تقاليدهم و عاداتهم كشف عن العديد من العلوم والمعارف التي أفادت الإنسانية عامة و الإغريق خاصة .انظر محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص22- 23 .

2 - إبراهيم رزقانة و آخرون : المرجع السابق ، ص59.

3 - سليمان حزين : حضارة مصر ، ط 1 ، دار الشروق ، بيروت ، 1991 ، ص 61 .

سواحل البحر المتوسط ، فكانت في البداية عبارة على خليج بحري ملأه النيل بطميه حتى أصبح أرضا منبسطة ومنها يتفرع النيل إلى عدة فروع [1].

ينحدر سطح الأرض تدريجيا نحو البحر المتوسط ، وارتفاعها في الوسط أكثر من ارتفاعها في الجانبين ، ويعود ذلك إلى أن مياه النيل أخذت في التكوين الدلتا في الخليج البحري القديم كانت أسرع ، و أكثر تقدما في الوسط . أما الأطراف الشمالية من الدلتا تكاد تكون في مستوى سطح البحر [2] .

ابتداء من الألف الخامس قبل الميلاد أخذ سكان الهضبة ينزلون إلى وادي النيل بالقرب من موارد الماء، وبفضل عمل الإنسان تغيرت معالم الوادي والدلتا وأصبحت مصر أحد أقدم مواطن الحضارة البشرية [3]، ومع مرور الزمن اتسعت مجاري وادي النيل ، وكثرت فروعه قد تصل أحيانا إلى سبعة فروع [4]، و يصب الفرع الغربي منه عند الرشيد . أما الآخر فهو الفرع الشرقي ويصب عند دمياط[5] . هذه الفروع ذكرها هيرودوت و هي سبعة فروع : البلوزي، الكانوبي ، السبنيتي ، السايسي ، المنديسي ، الباكولي ، البولبيتي [6]، ومع ذلك تمتد القنوات في كل مكان و من بين الـ750 ميلا من مجرى نهر النيل شمال أسوان حتى مصب رشيد التي تصل إلى 600 ميل[7].

1- جيمس بيكي : مصر القديمة ، تر: نجيب محفوظ ، (د ط) ، مطبعة المجلة الجديدة ، مصر ، (د س ن) ، ص ص 4- 5 .

2- محمد فريد فتحي : في جغرافية مصر ، ط 2 ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000 ، ص 101.

3- برهان الدين دلو : المرجع السابق ، ص38 .

4- سير آلن جاردنر : مصر الفراعنة ، تر: نجيب ميخائيل إبراهيم ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1973، ص47.

5- سليمان مظهر : مصر شمال الوادي ، (د ط) ، دار التعاون ، مصر ، (د س ن) ، ص141 .

6- عبد الفتاح محمد وهيبة : المرجع السابق ، ص254 .

7- سير آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص254.

نظرا لارتباط مواردهم الاقتصادية بالنيل وفيضانه وسهله الرسوبي ، لذا نجد المصريون أدركوا منذ القدم مدى أهمية هذا النهر ، وعظمته فألهوه و عبدوه بهيئة إنسان وأطلقوا عليه اسم " حابي" كما سموه " أترعا " أي المجرى العظيم [1].

وبفضل النيل كانت الدلتا الأسبق حضاريا من سكان الصعيد ، و يعود السبب إلى أن الدلتا كانت سببا في تنظيم أهلها وتعاونهم فيما بينهم ، وانتهى الأمر بأن أصبحت لهم حكومة وأحس السكان بحاجتهم إلى الزعيم في تنظيم حياتهم ، والدفاع عن أنفسهم لذا وجب عليهم تعيين زعيم يعتني بأمر جداول الري ، فإن فيضان النيل كان يملأ الترع بالطمي ، و من خلال اهتمام المصريين وتعاونهم على استغلال مياه الوادي في الزراعة ، لذلك فكانوا يدفعون جزءا من الحبوب إلى الزعيم ، وهكذا بدأت أولى مظاهر الضرائب تظهر بوضوح وهي النواة الأولى لوجود الحكومة فنشأت واحدة ما نسميها بمصر السفلى، وبعد ذلك قامت مملكة أخرى في الجنوب شملت وادي النيل من قمة الدلتا إلى الشلال الأول [2].

وبهذا نشأت السلطة السياسية في المملكة الشمالية ،وما شجعهم على ذلك الموقع الجغرافي في الشمال المطل على البحر المتوسط لمد نفوذهم إلى الصعيد ، واتخذوا من مدينة نوبت عاصمة لهم ومركزا رئيسيا لنفوذهم الحضاري و السياسي ، وعندما استقرت أمورهم شاركوا أهل الجنوب في بعض ميراثهم القديم في تطوير حضارتيهما[3]. (انظر الشكل 2).

1 – إبراهيم زرقانة و آخرون : المرجع السابق ، ص59.

2– جيمس هنري بريستد : انتصار الحضارة ، المرجع السابق ، ص68.

3– عبد العزيز صالح: الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 89.

ثانيًا :مصر السفلى : وتمتد من مدينة منف* حتى سواحل البحر المتوسط ، تنحدر تدريجيا في امتداد إتجاه البحر وهي أقل ارتفاعا من مصر العليا [1]. (انظر الشكل 3).

تختلف البيئة الطبيعية في الدلتا عن مثيلتها في الوادي ففي الدلتا تكثر المجاري المائية والمستنقعات والبحيرات ونظرا لاستواء أراضيها شيدت عليها مباني لأسباب تاريخية ودينية وتجارية ، وتأسست مدن رئيسية على فروع النيل و أقيمت المساكن الحديثة على أطلال المساكن القديمة وهو ما يسمى بـ " كوم" أو " تل " . وتعتبر شبكات القنوات والترع عنصرا أساسيا في تكوين البيئة الطبيعية وهي تمثل أول شبكة مواصلات تربط أطراف البلاد إلى جانب الدروب القديمة ، وترتب عن هذه الشبكة المائية الاهتمام بإعداد أحواض في الموانئ والمراسي لاستقبال جميع السفن[2] .

كانت ظروف الدلتا القديمة حافزا لأهلها على مداومة الكفاح نظرا لكثرة تعرض أراضيها لأخطار الفيضان ، وذلك بالأخذ بأسباب التعاون والتقارب لإبعاد الأخطار عن أراضي الزراعة و أراضي المساكن و ما زاد في اتساع رقعة الدلتا هو ندرة المواد الأولية التي شجعت أهلها على التعاون لتسهيل الحصول عليها مثل : النحاس من شبه جزيرة سيناء ، والأحجار الملونة من جبال البحر الأحمر[3] .

ثالثًا :الصحاري : تعتبر الصحراء من أكبر المعالم الجغرافية التي طغت على طبيعة مصر القديمة ؛ فعندما قل المطر في الصحراء الشرقية والغربية أصبح غير كاف لتدعيم ،

* منف: وهي عاصمة مصر على أيام الدولة القديمة ، ينسب هيرودوت بناءها إلى الملك مينا مؤسس الاسرة الأولى، اختار هذه المدينة لأغراض حربية و سياسية و دينية و اقتصادية ، أقيمت على قلعة حصينة تحيط بها خنادق من الماء يجري في شرقها وادي النيل كما تحيط بها المياه من الشمال و الغرب ، انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى ، ج1 ، ص ص 16 – 17 .

1 – برهان الدين دلو : المرجع السابق ، ص38.

2– دومينيك ڤالبيل : الناس و الحياة في مصر القديمة ، تر: ماهر جو يجاني ، ط2 ، دار الفكر ، القاهرة ، 2001 ، ص117 .

3– عبد العزيز صالح : تاريخ الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، المرجع السابق ، ص 88 .

وإعاشة أي حجم سكاني باستثناء المناطق ذات الأودية ، والينابيع بعد تعرض السهل الفيضي للفيضانات المرتفعة العارمة [1]. و كان لتذبذب الأمطار أثر في الطبيعة فظهرت لنا نوعين من الصحاري : أولهما الصحاري المتاخمة للوادي ، وتبدأ حيثما تنتهي الأراضي المروية بمياه الفيضان و هما نوعان[2]:

-أ- **الصحراء الشرقية** : تمثل المنطقة الممتدة بين وادي النيل و البحر الأحمر وخليج السويس ، و تطل على الوادي في الغرب بحافات مرتفعة تتميز بكثرة التقطع ، وهي بمثابة مصبات تنحدر من جبال البحر الأحمر ، اهتم الفراعنة بهذه المنطقة نظرا لاحتوائها على الذهب .

-**ب- الصحراء الغربية** : وتمتد من وادي النيل شرقا حتى الحدود المصرية الليبية ، وهي عبارة عن هضبة صحراوية متسعة متوسطة الارتفاع تحوي عدد كبير من المنخفضات والكثبان الرملية ، و يعتبر منخفض الفيوم أهم منخفضات الصحراء الغربية وتحيط بها هضاب مرتفعة في معظم جهاتها[3]، وتتميز واحة الفيوم بقربها من نهر النيل وبانفصاله عنه بواسطة الهضبة الغربية. ظهرت بفعل الرياح ثم شق النهر طريقه إليه عبر حاجز صخري ينفصل عن الوادي بواسطة بحر يوسف في بداية عصر البلايستوسين الأعلى[4] ، وبفضل المياه المتدفقة إليه من النهر ، وعن طريق الأنهار بدأ سكان هذه المنطقة يزاولون الزراعة منذ العصر النيوليتي مستفيدين من السيول المنحدر من الجبال لري الحقول [5].

1- محمد مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة ، (د ط) ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1985، ص11.

2- دومينيك ڤالبيل : المرجع السابق ، ص 119 .

3- برهان الدين دلو : المرجع السابق ، ص 39 .

4- تقي الدباغ : الوطن العربي في العصور الحجرية ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988 ، ص 32 .

5- برهان الدين دلو: المرجع السابق ، ص39.

-ج-شبه جزيرة سيناء : وهي هضبة مثلثة الشكل تقع شمال شرق مصر رأسها في الجنوب وقاعدتها في الشمال ، يتميز القسم الجنوبي بوجود مناطق جبلية صلبة ، وعرة على هيئة قمم شاهقة وبه أودية كثيرة ، ويقع القسم الأوسط شمالي المنطقة ، ويعرف بهضبة البيئة المنحدرة نحو البحر في الشمال ، وينحصر القسم الشمالي بين الهضبة والبحر المتوسط ، وهو منطقة سهلية موازية ساحل البحر تنتشر على سطحه كثبان رملية يتراوح ارتفاعها بين (80-100 مترا).[1]

عرفت سيناء في الآثار المصرية باسم " توشريت" أي أرض الجدب والعراء ، وعرفت في الآثار الأشورية باسم "مجان" ولعله تحريف لكلمة "مدين " وهو الاسم الذي أطلقه العرب على شمال الحجاز وجنوب فلسطين . عرفت في التوراة باسم " حوريب " أي " الخراب " ، كما عرفت باسم سيناء، وقال بعض علماء التوراة أن اسم حوريب أطلق على البلاد جملة، واسم سيناء على أشهر جبل فيها [2].

وكان لشبه جزيرة سيناء والصحاري المحيطة بالوادي ، ودلتاه دور كبير في حماية المصريين من الغزاة فهي تمثل حصنا طبيعيا ساعد سكان الوادي ، ودلتاه على التطور وتأسيس حضارة [3].

-2-الوضع في مصر قبل بداية الصراع:

احتلت سورية و فلسطين أهمية كبيرة في عصر الدولة القديمة في أنها طريق تجاري تسير فيه السلع ، وما يهم مصر أن يبقى هذا الطريق مفتوحا ، وبذلك استطاعت أن ترتبط بتلك البلاد بعدة طرق تجارية برية وبحرية ، وبواسطتها تعرفت لتأثيرات عالمية وأول طريق يمكن تتبعه ، يبدأ من دلتا النيل وعلى ساحل سيناء يتفرع إلى مناجم النحاس والفيروز ومن

1-دومينيك ڤالبيل : المرجع السابق ، ص 119.

2- نعوم بك شقير : تاريخ سيناء القديم و الحديث ، (د ط)، دار الجليل ، بيروت ، (د س ن) ، ص 16.

3- دومينيك ڤالبيل : المرجع السابق ، ص119.

سيناء يتجول الطريق شمال نحو ساحل فلسطين حتى إلى الساحل فيصل إلى صور وصيدا أو جبيل ، أما الطريق الآخر فيجتاز سهل مجد و يعبر الأردن في واديه الشمالي ، ثم يتجه إلى دمشق [1].

رغم حصانة الموقع الطبيعي في مصر إلا أنها انفتحت على جانبها الشرقي والشمالي مع جنوب غرب آسيا ، فبعد أن تعرضت مصر في أواخر أيام الأسرة السادسة إلى فترة ضعف وانحلال الذي استمر أيام الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة ، فقد كانت حدود الدلتا معرضة لبعض جماعات البدو، القادمين عن طريق الصحراء الشرقية ، وشبه جزيرة سيناء رغم استبعاد أي نشاط سياسي أو تجاري خارج حدودها، فنجد أن مصر بعد أن قامت من كبوتها في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، أقامت علاقات لأجل التجارة ، كما تشير المصادر إلى بعض الأعمال الحربية[2].

حدثت في عهد ملوك الأسرة الثانية عشرو دونت على نقش " نسو منتو" و لوحة "سوبك – خو" في عهد سنوسرت الثالث ، وأمنمحات الثالث ويقص علينا خبر حملة إشترك فيها في العام التاسع من حكمه ، ويتحدث عن سقوط بلد اسمه "سمكهم " وأن أهلها من " العامو" أي البدو المستوطنين في جنوب فلسطين [3].

بعد فترة من القوة والازدهار عاشتها مصر في عهد الأسرة الثانية عشر تلتها فترة ضعف، و انحلال دخلت في عصور مظلمة ، واشتد الاضطراب بعد سقوط الأسرة الثانية عشر فتطلع كبار الموظفين وقواد الجيش إلى العرش ، واشتد النضال بين حكام الأقاليم ونتج عن ذلك تعدد

1- فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق ،ج1، ص 64 .

2- أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم ، المرجع السابق ، ص 70.

3- المرجع نفسه ، ص 71 .

المؤامرات واندلاع الثورات ، فساد التفكك واختل النظام وساءت الأحوال السياسية والاقتصادية[1]. هذه الظروف أوقعت البلاد في يد عدو مرتجى فغزتها قبائل رعوية أطلق عليها مانيتون* اسم " هكسوس" أي هك: تعني ملك و سوس: تعني : راعي، وتعني ملوك الرعاة ، وسميت بالغة المصرية "حقا خاسوت" بمعنى حكام البلاد الأجنبية وهم قبائل آسيوية قديمة أتت من فلسطين و سورية [2]، ونجحوا في مد سلطانهم على الدلتا فتركوا شمال غرب الدلتا تحت إمرة الأسرة الرابعة عشر، ثم تقدموا في مصر الوسطى حتى القوصية بآسيوط كما فرضوا على الصعيد بما فيه طيبة نوع من الإستقلال الداخلي ، وأثرا هذا الإحتلال على المصريين وهذا الإذلال شعرهم بالتفوق والأمن في ظل آلهتهم [3]، وتمكنوا من تأسيس الأسرتان الخامسة عشر والسادسة عشر، ولم يبق للمصريين سوى شريط ضيق في مصر العليا وما لبث أن شعر أمراء طيبة بنوع من القوة و بدوا التحالف مع جيرانهم في الشمال والجنوب، فلما بدأ الضعف يدب على قوة الهكسوس انتهز هؤلاء الحكام فرصة في سبيل استرداد حرية بلدهم ، و من أجل ذلك قاد سقنرع الثاني ثم من بعده أحمس حملاته ضد الهكسوس [4]، وهكذا نجحت مصر بقيادة أحمس الأول، في إنهاء عصر من الضعف والاحتلال و بدأت عهد جديد زاهر، عهد الدولة الحديثة، عهد المجد العسكري والانفتاح على الخارج.[5]

1- عبد العزيز صالح و آخرون : موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 ، ص 157.

* مانيتون : مؤرخ مصري عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ، و كان يتقن الهيروغليفية والإغريقية وله ثمان كتب متخصصة ، و لم تصل للأسف مؤلفاته كاملة ، ووصلت أجزاء منها عن طريق المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي ، انظر حسن اسماعيل شوال : " الصراع الحيثي الميتاني المصري للسيطرة على سورية في القرنين السادس عشر و الخامس عشر قبل الميلاد " ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير إشراف محمود عمر محمد سليم ، جامعة حلب ، سوريا ، 2005 ، ص 90 .

2- أنور محمد زناتي : موسوعة تاريخ العالم (مصر) ، ج 1، (د ط) ، (د ن) ، (د م ن) ، (د س ن) ، ص 26.

3- عبد العزيز صالح و آخرون: موسوعة تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 161.

4- المرجع نفسه ، ص 164.

5- المرجع نفسه ، ص167 .

المبحث الثالث : دراسة جغرافية سياسية لبلاد الشام :

1-التسمية والموقع الجغرافي : تمتعت سورية القديمة بحكم موقعها في قلب الشرق الأدنى القديم* بموقع استراتيجي هام بين القارات القديمة الثلاث أوربا وآسيا وإفريقيا وقيامها كجسر عبور لنقل التأثيرات الثقافية والاقتصادية بواسطة حركية شعوبها .

يطلق مصطلح سورية على المنطقة المحصورة بين جبال طوروس شمالا وسيناء جنوبا والبحر المتوسط غربا و بلاد الرافدين شرقا[1]، أما العرب سموا هذه المنطقة باسم "الشام "وتعني اليسار أو الشمال بالنسبة لأهل الحجاز، ويقصدون بها المنطقة الممتدة من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية ، وعرضها من جبل طيء من الشرق إلى بحر المتوسط غربا[2].

أما سكان وادي الرافدين القدامى أطلقوا عليها اسم "أمورو" و يقصدون به سكان الغرب وهو نفس الاسم الذي أطلقه عليها البابليون و بذلك سموا البحر المتوسط "بحر أمورو العظيم"[3]. أما السومريون سموهم بـ" مارتو" وتعني سكان الغرب وفي نصوص شمرا التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، و وردت في كلمة شرين (shryn)، وظهرت في وثائق آداب أوغاريت بـ لفظة سيريون (siryon) في العبرية وينطبق هذا الاسم من الناحية الجغرافية على لبنان الشرقي الداخلي ، وعلى العموم شملت سورية المساحة المنحصرة بين جبال طوروس في الشمال الغربي ، وجبال البختاري[4] في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في

---

* الشرق الادنى القديم :نقصد به جغرافيا المناطق الآتية : الهضبة الايرانية ، و بلاد الرافدين ، و آسيا الصغرى ، وبلاد الشام (سورية و فلسطين و لبنان) ، والمنطقة الشرقية من نهر الأردن ، و شبه الجزيرة العربية ، و مصر القديمة . انظر توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 15 .

1- أحمد أمين سليم : تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصرو سورية القديمة) ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989، ص 213.

2- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج1، ط1، (د ن) ، (د م ن) ، (د س ن) ، ص219.

3- حلمي محروس إسماعيل : الشرق العربي القديم تاريخه و حضاراته ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر،1997، ص161.

4- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ،ج1، ص ص62- 63 .

الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء و خليج العقبة ، ومن البحر السوري في الغرب ويمتد إلى الصحراء العربية و الخليج العربي في الشرق [1].

أما الآثار المصرية تطلق على سكان سوريا الشمالية اسم "روتانو" و تسمى بلادهم "روتان" أو" لودان "(بلاد ذرية لوط) ، وتعني سكان دمشق وما يليها نحو الشرق والشمال، وهو ما أكده لانرمان في المجلد الأول من تاريخه أن اسم " الروتانو" يراد به سكان سورية على إختلاف الأصول [2].

أما الإغريق القدماء أطلقوا على سكان ساحل سوريا باسم فينيقيا و يدل هذا اللفظ عند المصريين على "الآسيويين عامة" أما سورية العليا أطلقوا عليها اسم "رتنــو"، أما مصطلح "فتخو" في عصر الدولة القديمة استعمل للدلالة على شعب من سكان سورية[3].

2-التقسيمات الجغرافية لبلاد الشام :

تتميز طبوغرافية سورية بتناوب أرضها بين المنخفضات والمرتفعات المتجهة من الشمال إلى الجنوب [4]، مما أدى إلى تنوع بيئتها الجغرافية من سهول وجبال وهضاب، يحدها من الشرق صحراء بلاد الرافدين ، ومن الغرب ساحل البحر المتوسط ، ومن الشمال جبال طوروس في جنوب الأناضول ومن الجنوب صحراء شبه الجزيرة العربية أي أنها تشمل المنطقة المحصورة بين بلاد النهرين وخيتا ومصر[5].

أولاً: السهل الساحلي : يقع في أقصى الغرب ، ويمتد من الشمال من خليج إسكندرونة "إيسوس قديما " إلى الجنوب عند شبه جزيرة سيناء ، ويتسع شمالا و يضيق عند سفح جبال

1- سعد صائب : دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم ، ط1، (د ن) ، دمشق ،1994،ص 17.
2 -المطران يوسف الدبس : تاريخ سورية الديني و الدنيوي ، ج1،(د ط)، دار نظير عبود ،(د م ن)، 1994،ص166.
3- رمضان عبده على :المرجع السابق، ص 85 .
4- عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ،(د س ن) ، ص 226 .
5- أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، المرجع السابق ، ص52.

لبنان*، ويبلغ طوله أكثر من 700 كيلو متر[1]، وهو ساحل صخري يضيق تارة و يختفي تارة أخرى، وقليل التعاريج لا يحوي خلجان ، ويختلف اتساع السهل الساحلي من موقع لآخر ويرجع ذلك إلى امتداد الجبال الغربية المتفاوتة بين الداخل والبحر[2] .

ثانيا : سلسلة الجبال الغربية :تشرف على السهل الساحلي سلاسل جبلية وهضاب من الأمانوس شمالا حتى سيناء جنوبا ، و أهمها جبال لبنان وتمثل حاجزا كبيرا بين البحر والشرق[3]، ويخترق هذا الحاجز عند النهر الكبير(نهر elentherus قديما) شمالي طرابلس ، وأحاطت مرتفعات الأمانوس بخليج الإسكندرونة وفي طرفه الجنوبي يشقه نهر العاصي (نهر orontes قديما) وتمتد هذه السلسلة عند جبل الأقرع (casuis) قديما وتفصلها جبال النصيرية في سورية ، ويحدها جنوبا نهر" القاسمية " وبذلك فهي تتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي يوازي الساحل اللبناني ، كما تتميز السلسلة الغربية بعظمة ارتفاعها أعلى قمة بها هي القرنة السوداء، ويستمر سهل لبنان الساحلي في سهل صارونة الذي يمرمن الكرمل إلى جنوب يافا** وتستمر مرتفعات سورية الغربية إلى مرتفعات الجليل*** الغربية ، وتبلغ أعلى قمة في فلسطين حوالي 3935 قدما[4].

---

* لبنان : اسم مشتق من اللفظ السامي لبن و معناه البياض لأن الثلج يغطي قممه العالية حوالي ستة أشهر في السنة ، يتميز بكثرة الجبال التي تمتد من جبل اللكام في شمال سورية و تنتهي بجبال سيناء المرتفعة في الجنوب .انظر فليب حتي : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، تر : أنيس فريحة ، (د ط) ، دار الثقافة ، بيروت ، (د س ن) ، ص 14 .

1- عبد الحميد زايد : المرجع السابق، 226.

2- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1994 ، ص ص 20 -21 .

3- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص227.

** يافا : من أقدم المدن الكنعانية في فلسطين تقع على شاطئ البحر المتوسط على بعد 35 ميلا إلى الشمال الغربي من أورشليم بها ميناء مهم و بواسطته نقلت أخشاب الأرز إلى الأقاليم المجاورة .انظر أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 502 .

*** الجليل : وهو الاسم الذي يطلق على القسم الشمالي من فلسطين .انظر : احمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص 466 .

4- أحمد أمين سليم : تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر و سورية القديمة) ، المرجع السابق ، ص224.

ثالثا : سلسلة الجبال الشرقية: وتبدأ من جنوب حمص وتسير موازية الجبال الغربية لها نفس الطول والارتفاع ، ثم تنحدر من حرمون* "جبل الشيخ" نحو هضبة حوران** ومنطقة التلال في الجولان و تستمر في شرق الأردن في تلال جلعاد *** وهضبة مؤاب المرتفعة ، وتنتهي في جبل سعير "أووم" جنوبي البحر الميت [1]. ويقسم مجرى بردي ووادياه سلسلة جبال لبنان الشرقية إلى قسمين ، قسم شمالي وآخر جنوبي حيث يوجد جبل حرمون وهو أعلى قمة يبلغ ارتفاعه 9383 قدما [2]، يحوي أخصب الأراضي الزراعية ملتفة حول دمشق ويرويها نهر بردي وحوران وجبل الدروز وهو منطقة بركانية وتمتد هذه السلسلة في شرق الأردن حتى تصل إلى مدينة البتراء في الجنوب[3].

أما المنطقة المنحصرة بينهما وهي البقاع و يتراوح عرضه بين 6-10 أميال ويرتفع في جوار بعلبك إلى 3770 قدما عن سطح البحر وبالقرب من هذه المنطقة يتم توزيع مياه حيث يتجه العاصي نحو الشمال بينما يتجه الليطاني نحو الجنوب [4].

رابعا : بادية الشام : وتبدأ هذه المنطقة من الهضبات الواقعة شرقي حوران وشرقي الأردن وتتجه إلى منطقة السهول، وتشكل لنا البادية سهول جيرية غالبا متممة للصحراء العربية

* حرمون : جبل متاخم لشمال فلسطين على بعد 40 ميلا شمالي بحر الجليل ، و 30 ميلا إلى الجنوب الغربي من دمشق و يمتد على طول الحدود الجنوبية الشرقية للبنان ، يبلغ ارتفاعه 9400 قدم . انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ، ص 467 .

** حوران : منطقة واسعة تقع في شرقي الأردن تمتد شمالا إلى الشرق من باشان (منطقة تقع شرقي الأردن بين جبلي حرمون و جلعاد) اتجاه بحيرة طبرية إلى دمشق سهولها متسعة خصبة كثيرة المراعي . انظر أحمد سوسة : المرجع نفسه ، ص 470 .

*** جلعاد : مقاطعة صخرية وعرة شرقي نهر الاردن . انظر أحمد سوسة : المرجع نفسه ، ص 466 .

1- أحمد أمين سليم : تاريخ الشرق الأدنى (مصر و سورية القديمة) ، المرجع السابق ، ص226.

2- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص59.

3- أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، المرجع السابق ، ص ص 54-55.

4- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص59.

الكبرى [1]، وتنقسم إلى قسمين جزء شرقي ببادية الجزيرة أو بادية ما بين النهرين تقع في الشمال أما بادية السماوة تقع في قسمها الجنوبي[2] .

3-سكان بلاد الشام :

-3-1- الأموريون : وهم أول شعب عاش في سورية وفدوا إليها في هجرة واحدة مع الكنعانيين في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد حوالي 2500ق- م، وأخذوا ينتشرون في باديتي الشام وبلاد الرافدين ، وامتدوا حتى غرب الفرات واستقروا عند أواسط النهر[3] . تظهر أول إشارة للأموريين منذ عصر سرجون (2200 ق م) ، وأخذوا يظهرون بالتدرج في سورية الوسطى ولبنان وجنوب فلسطين وصيدون وعسقلان [4].

كانت هذه المنطقة عامرة بعناصر سومرية و بعد وفود الأموريون أصبحوا يمثلون غالبية السكان ، ورد اسمهم عند السومريون القدماء ونصوص إبيلا في الألف الثالث قبل الميلاد بأهل " مارتو" أي أهل الغرب[5]. أسس هؤلاء دويلات صغيرة في سورية وفلسطين وعلى حدود ما بين النهرين وفي القرن 20 ق م ، أصبحت منطقة الفرات الأمورية ، أسسوا دولة عاصمتها ماري في جنوب نهر خابور[6].

سمي العموريون بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأكبر عمرو أو أمر أو عمر أو أمرو أو وتعني مقام السيد ، مقام الرب ، بيت السيد ، بيت الرب ، ومنها اشتق اسم ماري عاصمة العموريين ، وتعني السيدة وعمريت تعني مقام السيدة أو مقام الربة ، تميزت المنطقة التي

1- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص228.
2- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ،ج1، ص 46.
3- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص70.
4 - فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ، ج1، ص70.
5- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص70.
6- سعد صائب : المرجع السابق ، ص26.

سكنها العموريون من الناحية الجغرافية فهي تقع عند ملتقى ثلاث قارات ، وعند ممر أهم بحار العالم القديم التجارية لذلك في تتمتع بأراضي خصبة[1] .

بحكم وقوع الأموريين بين آسيا الصغرى في الشمال و مصر في الجنوب و بلاد الرافدين في الشرق أكسبهم مهارة سياسية في بعض الظروف[2] .

-3-2- أما الجنس الثاني الذي استوطن سورية الساحلية فهم الكنعانيين لعبوا دور كبير في تاريخ سورية بعد الأموريين ، وكان مركز هؤلاء على إمتداد الساحل الشرقي للبحر المتوسط متجها نحو مصر وجدت عدة تفسيرات لاسم كنعان وهو اسم سامي ويعني الأرض المنخفضة لاختلافها عن مرتفعات لبنان أما الاشتقاق الحوري الأصل (kanggi) وتعني الصباغ الأرجواني[3] . توازي في الصيغة الأكادية كناخي وفي رسائل تل العمارنة * "كيناخي" (kinakhkhi) وبالفينيقية " كنغ " (Ken) " كنعان " اي بلاد الأرجوان نظرا لشيوع تجارته بساحل البحر المتوسط في القرن 18 ق- م أو 17 ق- م [4] وبعد 1200ق- م أصبحت كلمة فينيقي مرادفه لكلمة كنعاني .

1- فاطمة جود الله : سورية نبع الحضارات ،(د ط)، الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، (د س ن)، ص 67-68.

2- محمد أبو محاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى ، المرجع السابق ، ص157.

3- المرجع نفسه ، ص158.

* رسائل تل العمارنة: هي مراسلات مكتوبة كلها على ألواح صغيرة من الطين المحروق باللغة الأكادية ، توضح هذه الرسائل ما كانت عليه الحالة السياسية في سورية و فلسطين و بابل و اشور و ميتاني و خيتا في أواخر ايام امنحوتب الثالث ، و تبرز لنا علاقات مصر بالبلدان المجاورة و أساليب المراسلات الدولية في تلك الفترة .أنظر أحمد فخري : مصر الفرعونية ، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2012 ، ص 252 .

4 - فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 85- 87

أطلق اسم كنعان في البداية على الساحل وغرب فلسطين* ثم أصبح الاسم الجغرافي المتعارف عليه لفلسطين وقسم كبير من سورية .

أما كلمة " **فينيقيا**" مشتقة من الكلمة اليونانية (Phoenix) وتعني بلاد الأحمر الأرجواني أي الصبغة الحمراء نظرا لشهرة هذا الساحل بصناعة الأصباغ القرمزية ، لذلك أطلق اليونانيون على كنعانيي الساحل اسم الفينيقيين ، ثم تطورت التسمية وأصبحت تدل على جزء كبير من سورية ولبنان وفلسطين كلها[1] .

-3-3-الآراميون : تميز العالم القديم بأحداث تاريخية بارزة غيرت مجرى التاريخ ، كانت أهمها تلك الهجرات التي قامت بها الشعوب السامية في فترات من الزمن . ومن بين هاته الشعوب الآراميون الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية تحت ضغط الظروف الطبيعية واستقروا بعض الوقت على أطراف البادية بين شبه الجزيرة ، والسهول الخصبة الخضراء بالقرب من دجلة والفرات وفي فلسطين وبلاد الشام في سنة (1500 ق- م) ، تقدموا نحو الشمال حتى دخلوا المنطقة المنحصرة بين منحى دجلة والفرات ثم تسرب جزء منهم نحو الشرق وجزء اتجه نحو بلاد الشام[2] .

و يرجع ظهور الآراميين إلى أزمنة قديمة و ردت في أحد نصوص الملك الأكادي نرام سين، و تشير إلى إقليم يدعى " آرام " كان يقع في أعالي بلاد الرافدين و يرجح هذا النص إلى 23 ق م ، كما ورد ذكر آرام في وثائق "درهم"** التجارية ترجع إلى (2000 ق- م) تشير إلى

* فلسطين : يرجع اسمها إلى القبائل الهندوأوربية نزلت على شواطئ الساحل الشرقي المتوسط بعد أن قهرت بلاد خيتا وكركميش وفينيقيا تسربوا إلى بلاد أمورو، وأقاموا في المنطقة المنحصرة بين غزة والكرمل . انظر عبد العظيم رمضان : تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 2001 ، ص ص 17 – 18 .

1- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص ص 84-85 .

2- إبراهيم رزقانة و آخرون : المرجع السابق ، ص 378.

** درهم : مدينة في بلاد الرافدين السفلى بالقرب من أور ، عثر فيها على لوحات تجارية .انظر عبودي . س .هنري: معجم الحضارات السامية، ط2 ، دار جروس برس، لبنان ، 1991، ص 397 .

مدينة أو دولة " آرام" على مقربة من " أشنونا " في وادي دجلة الأسفل ، ارتبط اسمهم في البداية "أخلامو" * حلفاءهم ، ثم أطلق هذا الاسم على إحدى قبائل البدو، وثم توسع استعماله وأطلق على القبائل المتحالفة[1].

انتشر الآراميون بصفة موسعة منذ القرن 14 ق- م بعد أن قامت فئات من الآراميين باجتياح بعض الدويلات الجنوبية السومرية والاكادية بينما سارت بعض القبائل الآرامية بمحاذاة الجهة الشرقية [2]، ووسعت حدودها إلى الفرات واليرموك وجنوبا على حساب العبرانيين وتاخمت الدولة الأشورية من الشمال ، ودخلت تحت سلطانها سورية الداخلية والجزء الشرقي من لبنان وكذا سورية الشمالية وحوران حوالي الألف الأول قبل الميلاد [3].

أسس الآراميون العديد من الدويلات :

-أ- آرام نهارين: أقيمت هذه الدويلة في المنطقة الواقعية بين الفرات والخابور ذكرتها المصادر المسمارية باسم "نهارينا".

-ب- فلدان آرام: كان مركزها في حران بلغت أهمية كبرى لمرور طرق القوافل بها ، وازدهرت اللغة الآرامية في هذه المنطقة التي اشتهرت في التوراة بكونها موطن الآباء الأوائل قبل ذهابهم إلى فلسطين [4].

أما في جنوب بلاد الشام قامت الدويلات الآتية:

* أخلامو : تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة أطلقت على جماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية يرجع ذكرهم إلى زمن أخناتون بصفتهم محاربين مع المدن السورية تذكرهم الكتابات الآشورية (عهد أدد نيراري الأول حوالي 1300 ق.م .) أشار إلى أن والده أخضع جماعات الأخلامو في أعالي الفرات. أنظر أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ، المرجع السابق، ص 447.

1- حلمي محروس إسماعيل : المرجع السابق ، ص161.

2- ألبير أبونا : الآراميون في التاريخ ، ط1، دار المشرق الثقافية ، العراق ، 2010، ص 210.

3- نجيب ميخائيل : مصر و سورية في العصور القديمة ،(د ط) ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، مصر، 1958 ، ص9.

4- طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1 ، ط2 ، دار الوراق ، بغداد ، 2012 ، ص 543.

-1-آرام صوبا: ذكرت في المصادر اليونانية والرومانية باسم" خلسيس " أو " كلسيس " أي النحاس تقع جنوب زحلة .

-2-مملكة معكة: قامت في سفوح جبل الشيخ بجبال حرمون وكذلك آدم رحوب في منطقة حوران.

-3-مملكة دمشق: استوطنت فيها جماعات الآراميين بين القرنين12و11ق.م[1] وسرعان ما تطورت وأخذت إمكانياتها وقواتها تنمو بسرعة ذلك لبعدها عن الخطر الأشوري أصبحت مملكة كبرى تمتد من الفرات شرقا إلى نهر اليرموك غربا ، وتتاخم أرض أشور في الشمال، وأرض العبرانيين في الجنوب[2]، ورود اسم المدينة في "رسائل العمارنة" في القرن14ق. م بلفظة دمشق أو تمشكي، وهي مركبة من كلمتين دار تعني حصن ومشق تعني إله من الآلهة غير السامية أوقد يكون اسم لأحد القبائل الآرامية[3].

-4-الممالك السورية القديمة :

أ -الممالك الداخلية : تعد الجزيرة العربية مهد الجنس السامي و بوتقة لعدة هجرات بشرية متتابعة حين هددهم الجفاف و الجدب بالموت جوعا في صحرا واتهم المترامية الأطراف، وبدأت هذه الهجرات في وقت مبكر واستقروا في شمال الجزيرة العربية واستطاعوا أن يؤسسوا دويلات بعضها في الداخل وبعضها الآخر في الساحل ومن أبرز هذه الممالك :

-1 - مملكة ماري : يرجع تاريخها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ظهرت أهميتها عندما سيطر الأموريون في بداية حكمهم على مناطق الحواف في بادية الشام [4]. تقع عند ملتقى الطرق التجارية القديمة التي ربطت البحر المتوسط وغربي آسيا القديمة مع بلاد الرافدين على

1- طه باقر : المرجع السابق ، ص 543.

2- حلمي محروس إسماعيل : المرجع السابق ، ص ص 164 -165.

3- طه باقر : المرجع السابق ، ص544.

4- رمضان عبده على: المرجع السابق ، ص71.

ضفة الفرات اليمنى احتلت ماري موقعا متميزا يتوسط المنطقة ، ويشرف على سهول البادية السورية الواسعة فكانت علاقات اقتصادية ، ودبلوماسية متينة مع مدن جنوب وأواسط الرافدين وبلاد الشام ، وامتدت سلطتها إلى شمال بلاد الشام أحيانا[1] .

برز تاريخها بوضوح بعد اكتشافها من قبل الأثريين و دراسة حوالي 30 ألف رقم من الفخار مكتوبة بالخط المسماري، وهي عبارة على مراسلات واتفاقيات مع الممالك المجاورة دلت معلوماتها عن تاريخ ماري ، وتاريخ البلاد الشرقية السياسي والاقتصادي ، وأسماء ملوك البلدان التي تبادلت معها الهبات مثل ملوك حلب [2]. وأوضحت سجلات سياسية أنه كان لمملكة "ماري" سفراء لدى كل منطقة ومنهم سفير "بابل " و "كركميش" و "حلب ".

من خلال دراسة الوثائق تبين أن مملكة ماري كانت تسمى "ماركي " ومعناها باللغة الأكادية " أرض الزوابع "[3]، من أشهر ملوكها "أي إجيتليم " وهو أقدم حاكم لماري. والملك أي أخدونليم عاصر الملك الأشوري " شمشي ادد الأول " (1717–1749 ق م).

كشفت أعمال التنقيب عام 1953 م بعض جوانب الوضع السياسي والدبلوماسي في عهد الملك " أخدونليم"، و يروي هذا الملك في إحدى قصصه حملته العسكرية التي وصل فيها إلى شواطئ البحر المتوسط[4] .

2– يمخاذ : تقع جغرافيا في شمال سورية ، كان مركزها مدينة حلب [5]، كشفت آثارها في الطبقة السابعة من تل العطشانة في سهل العمق على عدد من الألواح الطينية مكتوبة باللغة المسمارية ، وأوضحت هذه الألواح أحداث سياسية هامة جرت في القرنين الثامن عشر

1– عبد الله الحلو: صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ، ط1، بيسان للنشر و التوزيع ، لبنان ، 1999، ص 165.
2– عبد القادر عياش : المرجع السابق ، ص ص56 –57.
3– مفيد عرنوق: صرح و مهد الحضارة السورية ، ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1999، ص ص 43 –44 .
4– توفيق سليمان: المرجع السابق ، ص164.
5– هنري .س. عبودي : المرجع السابق ، ص920 .

والسابع عشر قبل الميلاد ، وعن بعض أحداث القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وتقص علينا أخبار عن حكام يمخاض التي كانت عاصمتها حلب ، ومن بين حكام يمخاض الذين أوردتهم النصوص هم "بعل" و " نقمانا " و" أركابتوم " " أميتاكوم" و" يريم ليم " و " حمورابي"،(ليس حمورابي البابلي)[1]، وربطت علاقات مع ملوك ماري ومن عاصرهم من الدويلات[2] .

ذكرت في نصوص الملك الأكادي نرام سين حوالي 2400ق م .في وثائق أور وإيبلا وأوغاريت باسم "حلب" و هي تسمية سريانية قديمة ، وكذلك في كتابات ماري في الألف الثاني قبل الميلاد[3]. كانت حلب قرية صغيرة على نهر (قويق) ، ثم اغتنت من مواردها الزراعية لخصوبة أراضيها و أخذت أهميتها تتزايد مع مرور الوقت بسبب قلعتها المحصنة .

في بداية الألف الثاني قبل الميلاد شكل ملوك حلب تحالف مع البابليين و ماري وصارت حلب عاصمة مملكة يمخاض العمورية و تحكم الكثير من مدن شمال سورية الطبيعة حتى عام 1800ق م ؛ حينها تعرضت للضغوط من الميتانيين والحيثيين هاجمها الحيثيون بزعامة خاتوشيليش الأول (1650 –1620 ق م) ، ورغم الدفاع المرير إلا أنهم احتلوا حلب ثم دمرها الملك الحيثي مورشيليش الأول (1590–1620ق م) و بقيت تتداولها أيدي الغزاة[4] .

3– مملكة الألخ : تقع في شمال سورية ما بين حلب والبحر المتوسط ، وكانت مأهولة بالسكان طيلة الألف الثاني قبل الميلاد [5]، قامت قرب الساحل على نهر العاصي الأدنى وتحكمت في الطريق التجاري الذي منه تعبر القوافل المحملة بأخشاب جبال الأمانوس إلى بلاد

1– رمضان عبده على: المرجع السابق ، ص ص101–102.

2– عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص461.

3– فاطمة جود الله : المرجع السابق ، ص319.

4– المرجع نفسه ، ص320.

5– هنري. س .عبودي : المرجع السابق ، ص 118.

الرافدين تأثرت الألخ كثيرا بالمؤثرات السومرية ، اعتمدت في اقتصادها بصفة كبيرة على تجارة أخشاب الأرز. حافظت على استقلالها وحكمها الذاتي بصعوبة في وجه الطامعين [1].

عثر المنقبون على وثائق تفيد أن " أبال بيل " ملك يمخاذ في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهب هذه المدينة لابنه مكافأة له على ولائه خلال إحدى الثورات [2]، اتخذت هذه المملكة عاصمة لها في الألخ "توتول" تل العطشانة شمال حلب تزامنت مع مملكة يمخاذ في حلب .

-4- مملكة إيبلا: قامت هذه المملكة في الألف الثالثة قبل الميلاد من (2400-2100ق -م) في جنوب حلب [3]، بلغت قوة كبيرة وأصبحت مركز لإمبراطورية شاسعة أخضعت عدة ممالك مثل حلب ، ويعين حاكمها ملوك الأقاليم الخاضعة لحكمهم مثل جبيل الواقعة على الساحل السوري ويدبر شؤونها حاكم من أبناء الملك ، كما كانت لها السيطرة على أشور، ويتضح من خلال نصوص المعاهدة ، التي ذكرت أن " إبيلا "حققت انتصارين على دولة ماري للسيطرة على الطرق التجارية والمائية وعلى أكاد في سبيل احتكار تجارة المعادن المستخرجة من الأناضول ، وتجارة الخشب من فينيقيا[4].

وبفضل موقعها الاستراتيجي سيطرت على الطريق التجاري بين الفرات والبحر المتوسط، وعلى الممر المؤدي إلى نهر العاصي [5]. بعد دراسة ألواح أرشيف إبيلا أمدتنا بمعلومات عن

1- عبد الفتاح محمد وهيبة: المرجع السابق، ص161.
2- هنري. س .عبودي : المرجع السابق ، ص118.
3-رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص77.
4- مفيد عرنوق : المرجع السابق ، ص 40.
5- فاطمة جود الله : المرجع السابق ، ص 189.

مدونات اقتصادية عامة و حسابات يومية ، وحسابات جرد لمواد تجارية وغيرها هذا ما يدل على أنها كانت دولة مزدهرة تجاريا ولها علاقات خارجية واسعة[1] .

قامت سياستها على السيطرة على التجارة بين بلاد النهرين والأناضول و سورية ومصر وذلك لتأمين وفرة المواد الأولية . أقامت إيبلا كيانا سياسيا ، وإداريا يقوم على تراتب منظم نجد على رأس الدولة (مالكوم) يساعده في إدارة مملكته مجلس شيوخ أو قضاة ، يتكون الجهاز لإداري من11700شخص نتج عنها حسن تنظيم الدولة ، واتساع رقعتها الجغرافية و ينقسم تاريخها إلى مرحلتين : المرحلة الأولى(2400 – 2100ق- م) : في هذه المرحلة خضعت الدولة لسلطة ماري و أكد[2].

المرحلة الثانية(2100 -1600ق- م) : تقلصت رقعتها و أشهر ملوكها بن زيكو عام1850 ق- م الذي تنافس مع ملك حلب (شماش ادد) أقام تحالف مع مملة الألخ من خلال زواج ملكي بعد سنة 1800 ق م، وأصبحت إيبلا تحت وصاية مملكة حلب " يمخاذ" دمرها حمورابي 1570 ق- م إلا أنها انتعشت من جديد ، قضى عليها الحيثيين المنحدرين من الشمال عام 1610 ق م[3].

-5- مملكة كركميش :تقع في شمال سورية غرب الفرات على بعد 100كلم شمال شرق حلب[4]، ترددت أخبارها في نصوص إيبلا من الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي نصوص ماري من القرنين 19 و18 ق- م ، وفي النصوص الحيثية المؤرخة بين القرنين 14 و13 ق - م ظهرت كمستوطنة في تل الحلف في الألف الخامس قبل الميلاد ، وأصبحت مدينة محصنة وكبيرة منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.

1-عبد الله الحلو : المرجع السابق ، ص203.

2- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص 77.

3- المرجع نفسه ، ص78.

4- محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ج2، ص296.

لعبت كركميش دور هاما في العلاقات السياسية والاقتصادية بين ممالك أشور وماري وحلب بفضل موقعها الجغرافي تحكمت في طرق المواصلات التجارية النهرية والبرية، ووجودها أيضا في تقاطع الطرق بين بلاد الرافدين، و الشام و الأناضول مما جعلها منطقة صراعات دولية [1].

-6- قطنـــة : وهي إحدى المدن العمورية المهمة في سورية القديمة ، والتي دخلت في حالة حلف مستمر مع المدن السورية الاخرى ، استقر فيها العموريين منذ الالف الثالثة قبل الميلاد مستفيدين من اقتصادها الرعوي والتجاري .تحالفت مع غيرها من المدن السورية الأخرى، وغالبا ضد عدوتها التقليدية يمخاذ ، كما امتد التحالف ليشمل ملك أشور إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا إذ عادت إلى التصالح مع ملك يمخاذ والتحالف معه بعد أن أصبح الأشوريين أقوى ملوك المنطقة .أشهر ملوكها ذكرتهم نصوص ماري وهم " أشخي أدد" الذي زوج إبنته لملك أشور" شمشي أدد " كنوع من المصاهرة السياسية ضد حلب ، أما الملك الثاني فهو ابنه "أموت بي ئيل "[2].

-ب-الممالـك الساحلية : لم يتمكن الكنعانيون من تأسيس كيان موحد بسبب طبيعة المنطقة التي عاشوا فيها ، والتي كانت محل أطماع الدول الكبرى في هذه الفترة وهي مصر وبلاد ما بين النهرين و آسيا الصغرى ، وعلى هذا انتظم الكنعانيون في جماعات صغيرة على رأس كل منها ملك ، وتجمعوا في مدن محصنة غالبا ما تكون في السهول و تحيط بها أسوار ذات أبراج للدفاع ومناطق زراعية تابعة لها .

1-سعد صائب : المرجع السابق ، ص ص 85 -86.

2- حسن إسماعيل شوال :" الصراع الحيثي الميتاني المصري للسيطرة على سورية في القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد "، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، إشراف : عمر محمد سليم ، جامعة حلب ،2005 ، ص ص 28- 29 .

أما في وقت الخطر يلجؤون إلى المدن المحصنة للاحتماء بها وبعض الجماعات احتلت جزرا صغيرة في مواجهة مدنها الساحلية [1]، انتشرت هذه المدن الكنعانية أو الفينيقية على إمتداد الساحل الفينيقي من جبل كاسيوس في الشمال إلى جبل الكرمل في الجنوب، كانت هذه الجبال تمثل حاجزا دفاعيا ضد هجمات الغزاة.

ومن أقدم هذه المدن :

-1-أوغاريت : تقع في شمال الساحل السوري [2]، وهي مدينة قديمة ذكرتها وثائق مصر القديمة وأرض الرافدين ، اكتشفت آثارها في 1353 ق م وهي آثار تشتمل على رسائل إلى الملوك الحيثيين وغيرهم دونت قبل 1350 ق م حوالي (1500 -1400 ق م) خربت المدينة سنة 1200 ق م على يد شعوب البحر الآتين من سواحل الأناضول وجزر بحر إيجة[3].

-2-أرواد : تقع في شمال فينيقيا ، يجتمع سكانها في جزيرتهم الصخرية ، سيطرت على كثير من المدن المجاورة مثل سميرا أو مارثوس ، أُشتهِر أهلها بالملاحة ، وفي مجال الاقتصاد رسموا على ظهر عملتهم سفينة شعار المدينة[4].

-3-جبيل : تسمى "بيبلوس" باللغة اليونانية ، تقع عند مصب نهر إبراهيم (أدونيس) على بعد 45 كلم شمال بيروت [5]، يرجع تخطيطها إلى عصر البرونز ، تقع المدينة على صقع جبل بناها الإله "إيل" كانت مركز من المراكز الهامة و القديمة لعبادة الآلهة عشتار ، وكان ورق البردي من أهم سلعها ، أُشتَق من اسمها بيبلوس (biblo) ، ومنها اشتقت كلمة

1-حلمي محروس إسماعيل : المرجع السابق ، ص 134.

2- المرجع نفسه ، ص135.

3-محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص ص 137 -138.

4- المرجع نفسه ، ص ص 140 – 141.

5- نعيم فرح : المرجع السابق ، ص14.

(bible) إسما الكتاب المقدس (التوراة و الإنجيل)،عند المصريين القدامى في عهد الأسرة الثانية عشر (1786-1991 ق م) أطلقوا عليها اسم " كبن" تحريفا لكلمة "جبل"[1].

-4-صيدا: تقع على بعد 45 كيلا جنوب بيروت في سهل ساحلي شديد الخصوبة وافر المياه، ينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية وبين البحر ، أنشأت على رأس جبلي لها مرفأين أحدهما في الشمال ، أما المرفأ المصري فهو يقع في الجنوب . اشتهرت بنشاط اقتصادي و هو الصيد وبه سميت المدينة ، أو ربما نسب اسمها إلى الإله الفينيقي صيدون .

-5-صور : تقع صور على بعد 40 كيلا جنوب صيدا[2] بين سلسلتين من الصخور بالقرب من الساحل امتدت المدينة حتى الشرق [3]، أنشأت صور حوالي 2750 ق م، بنيت المدينة على جزيرة تبعد عدة أميال عن البر ، ويؤكد إسترابون بأنها بنيت بنفس الشكل الذي بنيت به " أرادس "[4].

-5- بداية العلاقات المصرية السورية :

شكلت بلاد الشام في العصور القديمة جسر عبور الشعوب و قبائل كثيرة في هجراتها وتنقلاتها من وإلى بلدان غرب آسيا وشبه الجزيرة العربية ومصر ، كان لهذا الموقع الاستراتيجي آثاره السلبية على الوضع السياسي في بلاد الشام ، فحال ذلك بين دويلاتها في لم شملها السياسي في كيان موحد كما في أرض أكاد ومصر[5] .

فوقوع بلاد الشام في ملتقى الطرق التجارية الممتدة من الشمال إلى الشرق ، جعلت من سورية و فلسطين ملتقى و ميدانا لجميع الحركات المتعلقة بالتجارة أو الحرب أو الهجرة في

1- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص ص 143 .

2- محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 280-281.

3- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 247 .

4- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص ص 101-102.

5- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص333.

الشرق الأدنى القديم ، ومن الناحية الجغرافية شكلت حلقة وصل بين القارات الثلاث بواسطة طرق برية بين آسيا وإفريقية في شكل قوس يحف الطريق الشمالي لرمال الجزيرة بين طريق شرق أوربا ينحرف إلى شمال سورية ، ومنه يعبر جبال طوروس إلى آسيا الصغرى [1].

أما الطريق البحري فهو أكثر استعمالا من سورية إلى مصر أما طريق سورية فينطلق من حلب ثم الصحراء ، ومنه إلى الفرات ثم يسير نحو دجلة ، أما في الجنوب يمتد من دمشق إلى مجرى الفرات الأوسط شاقا الصحراء ومارا بواحة تدمر الخصبة[2] .

وتذكر لنا قصة سنوهي بداية العلاقات السورية المصرية ، تعود إلى عهد الدولة الوسطى وتبرز مرحلة من حياة المغامرات، والخروج إلى ما وراء الحدود السياسية التقليدية، ومدى علاقة مصر بسورية في هذه الحقبة التاريخية[3] . وتروي هذه القصة وضع قائد جيش الملك أمنمحات الأول (1991 –1962ق م)، ويقول سنوهي في رحلته (دمرت أرض ترضعني، وأرض تحفظني حتى وصلت إلى مدينة جبيل في فينيقيا)[4]. حظي سنوهي بمكانة عند الملك ومنحه منصب ملكي وولي أمور سياسية واجتماعية واقتصادية ، مفاد هذه القصة تعطينا وصفا عن الأنظمة السائدة في سورية القديمة ، ويحصي لنا نباتاتها من تين وعنب وعسل وزيت و تبرزه لنا أهل الشام خاصة التجار كانوا يترددون على تلك المناطق و كانوا يمرون بها ، وأن الحكام السوريين كانوا على اتصال بمجريات الأمور في مصر[5].

إن علاقة مصر ببلاد شرقي البحر المتوسط ترجع إلى ما قبل قدوم الفينيقيين في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد و كانت هذه الصلة تجارية في بادئ الأمر ثم تنوعت واستمرت لفترة

1- سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، تر : السيد يعقوب بكر ، (د ط) ، دار الرقي ،(د م ن) ،(د س ن) ، ص 39.

2- المرجع نفسه ، ص40.

3- برهان الدين دلو: المرجع السابق ، ص139.

4- محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، (د ط)، (د ن)، (د م ن)، (د س ن)، ص134.

5- محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ، ج 1 ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ،1989، ص99 .

من الزمن ، كانت أول مدينة دخلت مكانة رئيسية في العلاقات المصرية السورية مدينة جبيل "جبلة"(gebla)[1]، و كان المصريون يعرفون المدينة باسم كبن (kupna) حوله الفينيقيون بعد احتلالها إلى "جبلة" ، كانت جبيل مركز تصدير أرز لبنان إلى وادي النيل لاستعماله في بناء المعابد والقصور والسفن . استورد سنفروا (2750 ق- م) حمولة أربعين سفينة من الأرز، وأقدم اتصال بين مصر وسورية يعود إلى الملك سنفر، وكانت مصر تستورد الخمور والزيتون من جبيل بالمقابل تستورد المدن الفينيقية الذهب والمصنوعات المعدنية وأوراق البردي[2].

لم تقتصر العلاقات على الجانب الاقتصادي بل شملت جوانب أخرى في الدين ، وهو ما رواه بلوتارخ* في أسطورة أوزريس حين قتله أخوه "ست" ، و وضعه في صندوق و ألقاه في اليم فجرفه التيار و أرساه على شاطئ مدينة بيبلوس وثنية بين فرعي شجرة و احتوت بين طياتها جثمان أوزريس و أخذت تبحث عن جثمان زوجها وبعد أن قطع ملك بيبلوس الشجرة لتكون عمود في قصره فاحتلت إيزيس ودخلت القصر في زي خادمة ، وبعد كشف حقيقتها أذن لها بحمل العمودي الحاوي لجسم زوجها . واعتبرت هذه الحادثة التاريخية أبرز دليل عن قدم العلاقات الفينيقية المصرية [3]، ونستنبط ذلك من خلال القرابين المكتشفة في معبد بيبلوس المهداة باسم خع سخموي (الأسرة الثانية) و خوفو و منكاورع (الأسرة الرابعة)، ساحورع وأوناس (الأسرة الخامسة) وبيبي الثاني (الأسرة السادسة) ، هذه الشواهد تأكد وجود علاقات حتى قبل العصر التاريخي .

1- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 136 -137 .

2- أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، المرجع السابق ، ص 62.

* بلوتارخ (46- 120 م) : هو مؤرخ يوناني ولد في بلدة خيرونا في شمال بويوتيا في بلاد اليونان من أبرز المؤرخين القدامى، وأكثرهم أمانة في النقل اهتم بدراسة العقائد المصرية . انظر :أحمد أمين سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر – العراق – ايران) ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 ، ص 19 .

3- ج. كونتو: الحضارة الفينيقية ، تر: محمد عبد الهادي شعيرة ،(د ط) ، مركز كتب الشرق الأوسط ، (د م ن) ، 1948، ص 45.

كما تشير نقوش معبد الملك ساحورع(الأسرة الخامسة) إلى أنه أرسل حملة بحرية إلى آسيا عادت بأسلاب وأسرى ، وتدل هذه الحملة أن مصر كانت منذ عصر الأسرات من الثالثة إلى السادسة ترسل بعض الهدايا إلى معبد بيبلوس ، ويرى بعض المؤرخين قيام معبد في بيبلوس منذ عهد خوفو مما يوحي بأن جالية مصرية أقامت بها لرعاية مصالح مصر التجارية، وعثر فيه على أحجار وعليها أسماء ملوك الدولة القديمة [1].

كما تظهر نقوش معبد الملك ساحورع في أبو صير تعود إلى عهد الأسرة الخامسة حوالي 2540 قبل الميلاد تصور لنا مناظر إقلاع وعودة أسطول مصري إلى شواطئ فينيقيا، فالدارسين لتلك الآثار يؤكدون أن استقبال الملك لهذا الأسطول لم يذهب للحرب أو التجارة ، إنما كان في رحلة ودية إلى تلك البلاد[2].

أما النقوش التي تدل على وجود أعمال حربية عثر عليها في مقبرة تين تعود إلى أواخر الأسرة الخامسة وأوائل الأسرة السادسة إحداهما في دشاشة (بني سويف) ، والأخرى في سيقارة تمثل كل منها مهاجمة الجنود المصريين لأحد الحصون في جنوب فلسطين كانت لتأديب سكان تلك المنطقة لاعتدائهم على القوافل المصرية ، وهنا كوثيقة أخرى من عهد الأسرة السادسة ومن عهد بيبي الأول للقائد المصري " أوني " ، عاش في 2400ق- م فيذكر انه جهز جيشا يتكون من 10 آلاف شخص ونجح في حملته، وفي حملته الثانية جهز جيشين أحدهما سار برا، والآخر سار بحرا ونزلوا بقرب جبل الكرمل ، وهذه الحملات لم تشير إلى فكرة القمع والثورة بل أن الملوك المصريين كانوا يهتمون بتوفير الأمن لسير قوافل التجارة[3] .

أما في عهد الدولة الوسطى : إدّعى فراعنة الأسرة الثانية عشر (2000 – 1788ق -م) السيادة في الشرق ليس على الساحل الفينيقي فحسب بل على فلسطين ، وقسم من سورية

1- محمد أبو محاسن عصفور: المدن الفينيقية ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985، ص31.

2- أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، المرجع السابق ، ص 62.

3- المرجع نفسه ، ص 63 .

الداخلية وقطنة (qatina) ، واستقبل أمراء أوغاريت الهدايا من سنوسرت الأول (1971 – 1928ق م) ومثل أبو الهول في عهد أمنمحات الثالث (1642 – 1633 ق- م) عند مدخل هيكل بعل ، كما دلت أسماء الأماكن على اللوائح المصرية أنه في حوالي نهاية حكم أمنمحات كانت فلسطين حتى جلعاد في الشرق وفينيقية حتى وادي النهر الكبير في الشمال وحوران ودمشق ومعظم البقاع جزءا من الإمبراطورية المصرية[1]، ومنذ ذلك الحين أضحت سورية تابعة للإمبراطورية المصرية ، ولما قوي نفوذ وادي النيل في مدينة جبيل في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد أصبح الفراعنة ينظرون إلى ملوك جبيل برتبة " محافظ" أو "وال"على هذه المدينة، وكان يرمز لموافقته على تنصيب الحكام التابعين بإهدائه الوالي الجديد مزهرية ، ومنحوا الولاة أسماء كنعانية مثل (أبي – شيمو) و(يابا– شيموابي) و (ياكين – ابلوم)، وصار أمراء بلاد الشام يرسلون الوفود التجارية إلى واد النيل بهدف إقامة علاقات تجارية مع أهلها، وهو ما خلده لنا الأمير "ختوم حتب " من مدينة خوفو قدوم أحد هذه الوفود من تجار بلاد الشام على جدران قبره في بني حسن [2].

رغم ارتباط الفراعنة بملوك بلاد الشام إلا أنه لم يمنع ذلك من القيام بالثورة ضد النفوذ المصري كلما سنحت لهم الفرصة ؛ لكن حاجة وادي النيل الماسة لثروات بلاد الشام الطبيعية جراء ثورات الأهالي ضد الفراعنة أدت بفرعون سنوسرت الثالث للزحف عسكريا ضد بعض مدن الشام لإعادة إخضاعها لنفوذهم ، ورافق هذا الملك حملة عسكرية ضد بلاد "سيكيم "في بلاد الشام وانتصر ملكها على السوريين ، وعندما صارت الوفود الشامية خاضعة للمصريين تأتي بصورة دورية إلى بلاط فرعون محملة إليه بالجزية والإتاوات وتقدم له الولاء والطاعة وصارت اللغة المصرية معروفة في المنطقة خاصة عند فئة التجار[3] .

1- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان وفلسطين ، المرجع السابق ،ج1 ، ص ص 138 -139 .

2- توفيق سليمان ، المرجع السابق ، ص 354 .

3- المرجع نفسه ، 354 .

اتسعت صلات مصر التجارية بمناطق سورية وفلسطين وفينيقيا في أيام الدولة الوسطى ، عثر في مقابر أمراء جبيل وأوغاريت على آثار مصرية وصلتهم على شكل هدايا من الملكين أمنمحات الثالث والرابع ، وكانت هذه الصلات التجارية وراء الرغبة المشتركة بين مصر من ناحية وسورية وفينيقيا من ناحية أخرى لتصريف المنتجات واستيراد الأخشاب والزيوت والمعادن والأحجار الكريمة . لذا فهي حريصة دوما على قوة صلتها بفينيقيا وفلسطين باعتبارها العصب الرئيسي لتجارتها البرية ومع ما يليها من دويلات بلاد الشام [1].

1- محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (بلاد الشام) ، المرجع السابق ، ص ص 120-122.

الفصل الثاني

دوافع الصراع

المبحث الاول : الدوافع الإقتصادية

المبحث الثاني : الدوافع السياسية

المبحث الثالث : الدوافع الطبيعية

المبحث الأول : الدوافـع الإقتصـادية :

ممـا لا شـك فيـه أن العامـل الإقتصـادي كـان ، ولا يـزال المحـرك الفعلـي للكثيـر مـن الصراعات والأزمات عل وجه الإطلاق لذا فلابد من تجسيد الدوافع الإقتصادية لموضوع بحثنا، وما أحدثه من فوضى ساهمت في نشوئه ، وتأجيجه بالنظر إلى بلاد الشام فهي تتمتع بالعديد من المزايا الإقتصادية جعلتها محل أنظار الطامعين و الغزاة منذ أقدم العصور وعلى أرضها نشأت مجتمعات زراعية منذ نهاية الألف الرابع قبل الميلاد خاصة في منطقة الهلال الخصيب وذلك لتوفر مصادر المياه بوجود عدة أنهار مثل نهري دجلة والفرات ونهري الأردن والعاصي ، وارتباط هذه الأنهار بالحياة الزراعية البرية التي نشأت على جانب الأنهار[1].

كما عرفت فلسطين الخزف في مدينة أريحا* وتوزع هذا النوع من المادة يعطينا أحسن دليل عن العلاقات التجارية القديمة ، كما عرفت المنطقة ظهور استعمال النحاس في زمن مبكر خصوصا في سورية و فلسطين قبل إنتشاره في باقي مناطق الشرق الأدنى القديم [2].

و بالنظر لهذه فقد ربط ملوك سلالات مصر القديمة علاقات وثيقة مع أمراء و زعماء القبائل في بلاد الشام ، فكثيرا ما كان يتردد التجار على تلك المنطقة لاستجلاب بعض المقتنيات ليقدموها لسيدة بيبلوس المحلية الآلهة حتحور، وكان هؤلاء التجار يتجهون إلى بيبلوس للحصول على الخشب من لبنان ، فكانوا دوما على اتصال تجاري بالدلتا (مصر

1- رشيد الناضوري : مدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري و السياسي في جنوب غرب آسيا و شمال أفريقيا، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د س ن) ، ص 142.

* أريحا : مدينة كنعانية قديمة يعدها الخبراء أقدم مدن فلسطين يرجع تاريخ نشأتها إلى ماقبل سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، تقع في تل السلطان شمال المدينة الحالية و تعني يريحو في اللغة الكنعانية القمر ، اتخذها الهكسوس قاعدة لهم بين سنة 1750 – 1600 ق – م . انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 449.

2- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 22 – 24 .

السفلى) ، و استورد المصريون من فينيقيا اخشاب الأرز التي استخدمت في بناء مقابر الملوك في ابيدوس* [1].

وللمحافظـة علـى هذا النشـاط التجـاري المكثـف و تعزيـزه فقد سـعى أؤلئـك الملـوك لتقويـة أواصر الصداقة و التعاون مع المدن الشامية التي تربها بمصر علاقات تجارية خاصة مدينة جبيل التي أقامت فيها جالية مصرية من التجار ، و ليس هذا فحسب بل إن الفراعنة القدماء اعتبروا مسألة الحفاظ على مصالحهم التجارية مع بلاد الشام أمرا حيويا و ضروريا لبلادهم لا يمكن التخلي عنه حتى لو استوجب ذلك الأمر استخدام القوة المسلحة للحفاظ على مصلحتهم الإقتصادية ، فهذا التعامل الحازم الذي أبداه ملوك الدولة المصرية القديمة ، و ملوك الدولة الوسطى في الرد على الإعتداءات التي كانت تتعرض لها قوافل التجارة المصرية المتجهة برا نحو بلاد الشام كانت وراء المصلحة الإقتصادية [2].

أمـا فـي مرحلـة الإضـطراب و الفوضـى التـي عرفتهـا مصـر القديمـة بعـد سـقوط الأسـرة السادسة تحسر المصريون كثيرا على فقدان صلاتهم التجارية مع بلاد الشام لا سيما خسارتهم لأخشاب الأرز ، فهذه النصوص المصرية تعكس هذا الشعور و تبين لنا أهمية تلك السلع المستوردة في حياة المصريين القدماء لدرجة أن أحد الملوك يقول : " قدأصبح الآن لا يمكن لأي أحد أن يسافر إلى جبيل فما الذي سنفعله عوضا عن الأرز اللازم لمومياتنا ، فقد كان النبلاء يحنطون بالزيت الآتي من هناك ، ولكن هذا لم يعد يأتي " [3]. وحدثنا قصة سنوهي في

* ابيدوس : مدينة مصرية قديمة تسمى "تا – ور " و تعني الأرض العظيمة أو البلد الكبير ، تقع على الشاطىء الشرقي لوادي النيل ، من أهم آثارها معبد الملك سيتي الأول (1309 – 1291 ق– م) بلغت ابيدوس الذروة في القوة و الثراء منذ أيام الاسرة التاسعة عشر (1308 – 1184 ق– م) انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم (مصر) ، المرجع السابق ، ج1، ص ص 80– 83 .

1– محمد بيومي مهران : ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص ص 199 – 200.

2– المرجع نفسه ، ص ص 205 – 206.

3– المرجع نفسه ، ص ص 207 – 208 .

هذا الشأن على وفرة خيرات بلاد الشام ، وذكر منتوجاتها والتي كان من بينـها التين والأعناب، والخمر والعسل والزيتون [1].

ولتأمين طرق التجارة التي تمر عبره إلى البلدان المجاورة لـه من إعتداءات الهكسوس، اتبـع أحمس الأول (1575 – 1550 ق – م) سياسـة فعلـية قائمـة علـى الإحتـلال الحربـي لطريـق الغزو من وديـان الأرونـط (العاصـي) أو سورية وفينيقيـا وفلسطين، ووضـع قوة لمنـع الإحتكـاك عند مدخل الغزو فـي إقليم حلب بين الفرات والعاصـي [2].هذا من جهـة ومن جهـة أخرى جلب معه في عيد رأس السنة خشب الأرز الجديد من جبال لبنان ، وأمر بصنع أواني جديدة لمعبده بالكرنك من الفضـة والأحجار[3]، و فكر فـي وضـع سفينة لإلهـة التـي تجري فـي النيل بين الكرنك والأقصر ووضع له قارب " نشمت " الفاخر من خشب الأرز ، وقدم لـه سكان بـلاد الشـام هدايا وكذلك نفس الحـال بالنسبة لتحتمس الأول الذي شرع بفرض الضـريبة علـى سكان بـلاد الشـام و كانـت فـي مقدمتها أخشـاب الأرز[4].أمـا تحتمس الثالـث ففـي سوريا القديمـة فكانت رحلاته مطبوعة بطابع السلم فقط فكان يصدر الأوامر إلى رجاله بأن يدخلوا إلـى مصـر ويجلبون كلمـا مـا يجدوه صـالحا من حيوان أو فواكـه أو مزروعـات فكانـت خيرات العـالم القديم تتدفق من خزائن الفرعون [5]. وليس هذا فقط بل الأكثر من ذلك فرض علـى أصـحاب الأراضـي المثمرة المحيطـة بمدينـة مجدو أن يقدموا للجيش المصـري المرابط فيهـا بكـل مـا يحتاجـه مـن مؤونة وأغذية [6].

1- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 513 .

2- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ،ص 218.

3- سليم حسن : موسوعة مصر القديمة، ج4 ،(د ط) ، مكتبة الاسرة ، مصر ،2000 ، ص 209.

4 – المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 269 .

5- أحمد أمين سليم : في تاريخ الشرق الادنى القديم (مصر– سورية القديمة) ، المرجع السابق، ص 151 .

6- جاردنر سيرآلن : المرجع السابق ، ص 216 .

ولم تكن سياسة امنحوتب بعيدة عن سياسة والده فقد اشتهر بميوله لاستعمال القوة في إخضاع المتمردين بالاظافة إلى ذلك جلب الضريبة فكان عند جلوسه على العرش وهو يغزو إحدى المدن الشامية (انوخرات) فيقتل و يدمر أهلها و يسبي نساءها ليقدمها هدية لمعبوده آمون ، وهو ما دلت عليه لوحتا عمدا* والفانتين بالنوبة << أن جلالته عاد سعيدا إلى أبيه آمون بعد أن قتل الرؤساء السبعة الذين كانوا في منطقة نحسي و علقهم على السفينة >> ونتيجة لذلك أتى إليه رؤساء دولة ميتاني و ضريبتهم فوق ظهورهم عسى ان يمنحهم الفرعون نسمة الحياة [1].

وعندما تأسست المملكة الحيثية تطلع ملوكها للإستيلاء على المناطق المتاخمة لحدودهم الجنوبية في بلاد الشام لما تحتويه أراضيها من ثروات [2].

ولكون هذه المنطقة جسر اتصال بين قارات العالم الثلاث (أفريقيا ، اوربا ، آسيا) ولاحتوائها على شبكة من الطرق التجارية جعلت منها الطبيعة منطقة صراع و ميدان لجميع الحركات المتعلقة بالتجارة أو الحرب أو الهجرة ، و في الشرق الادنى القديم فنجد الصحراء حصرت المواصلات البرية بين آسيا وأفريقيا في شكل قوس يحف بالطرف الشمالي لرمال الجزيرة بينما طريق شرق أوربا ينحرف إلى شمال سورية ، ومنه يعبر جبال طوروس إلى آسيا الصغرى [3].

* عمدا: تقع على بعد 203 كيلا جنوب أسوان بها أهم معابد النوبة المصرية بناه تحتمس الثالث (1367 – 1350 ق- م) و يحوي هذا المعبد لوحة دونت عليها أعمال امنحوتب الثاني ، و تشير لوحة عمدا إلى فترة الحكم المشترك بين امنحوتب الثاني و ابيه تحتمس الثالث .انظر محمد بيومي مهران : ، المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم ، المرجع السابق، ج1، ص ص 165- 166.

1-سمير أديب : تاريخ و حضارة مصر القديمة ، (د ط) ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1997 ، ص ص 170 – 171.

2-عبد الحميد زايد : المرجع السايق ، ص 506 .

3- سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص 39 .

فـي الحين ذاتـه عنـدما تـولى تحتمس الرابـع نشبت فـي آسيا ثورة استدعت ذهابـه ودلتنا جدران معبد آمون بطيبـة أن تحتمس اضطر ان يذهب شمالا إلى بـلاد ما بين النهرين ليأخذ الضريبة من ملوك تلك المستعمرات وبمجرد شخوصه فيها اكتفى

لإخضـاع الأمـراء الثائرين وقتئذ ، ورجـع عـن طريـق لبنـان وأمـر حكـام تلـك الجهـات أن يجمعوا كمية من خشب الأرز ثم شحنها إلى طيبة ليبني منها سفينة مقدسة للمعبود آمون [1].

ولما بسط الحيثيون نفوذهم على كافة المناطق السورية أصبحت تجارة غرب آسيا ومصر خاضعة لمراقبتهم ، و سيطر الحيثيون أيضا على الثروات الطبيعية في بلاد الشام من أخشاب، ومعادن وحبوب و مواد استهلاكية عديدة تتوفر عليها تلك المنطقة [2].

ولما اندفع المصريون في القرن السادس عشر قبل الميلاد للسيطرة على بلاد الشام، بدافع السيطرة على الساحل الشرقي للمتوسط ، و خاصة لبنان لجلب أشجار الأرزو الإستحواذ على خيراته النادرة ، و يأتي من البلاد الشمالية مثل لبنان الأرز، والأسلحة كما استوردت مصر من سورية بعض المنتجات التي تنتجها البلاد بكثرة ، أما مصر فكانت ترسل مقابل ذلك الذهب إلى الملوك الموالين لها [3].

لم تكن مدن بلاد الشام الداخلية هي التي تولت الريادة الإقتصادية لوحدها في العالم القديم فحسب بل برزت أيضا بعض مدن الساحل الفينيقي بصفة عامة بفضل موقعها الإستراتيجي المتحكم في طرق المواصلات التجارية سواء تلك التي تربط بين مصر وآسيا الصغرى ، أو التي تربط بينها وبين بلاد الرافدين ، وجزر بحر إيجة ، فكانت لذلك حلقة وصل بين مناطق عديدة من الشرق الأدنى القديم ، فكانت أوغاريت مثال بارز عن ذلك بفضل موقعها السوقي

1-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر، المرجع السابق ، ص 216 .

2- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 279 .

3- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الادنى القديم ، المرجع السابق ، ص 123 .

اللافت لنظر المؤرخين والجغرافيين جعل منها ملتقى تجاري وثقافي للمراكز الحضارية المهمة في العالم القديم [1].

في كلتا الأحوال لم تغب الرغبة الإقتصادية عند الشعوب القديمة فكانت حاضرة في نفوس جميع الملوك الحيثيين الذين حاولوا في كل مرة غزو بلاد الشام لا سيما مؤسس الإمبراطورية الحيثية (الحديثة) الملك شوبليوليوما (1380 – 1340 ق- م) الذي مد نفوذه على حساب الجهات الشمالية من بلاد الشام ، وعلى ساحلها وفرض على أمرائها الضريبة لمنع مصر من مورد هام من الموارد الإقتصادية التي اعتمدت عليها في بناء حضارتها ، وعمرانها، فأشعل ذلك نار المنافسة الحقيقية بين الملوك الحيثيين ، وملوك الإمبراطورية المصرية [2].

هكذا نصل إلى حقيقة مفادها أن كل من الجانبين المتنافسين كانت لهما مطامح اقتصادية تسعى كل واحدة منها للحفاظ عليها في المنطقة أدت بهما إلى التسابق، و فرض هيهمنتها السياسية والإقتصادية أولا ثم التطاحن ، و المواجهة العنيفة و الحروب لاحقا .

1-هديب حياوي غزالة : " أوغاريت مركز تجارة العالم القديم " ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، المجلد 18 ، العدد 4 ، بغداد ، 2010 ، ص 985 .

2- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص 21.

المبحث الثاني : الدوافـع السياسيـة :

تنوعت الـدوافع السياسية منهـا مـا تعلـق بظـروف بـلاد الشـام ، و بعضـها ارتبط بظـروف مصر، و بعضها الآخر ارتبط بظروف الدولة الحيثية في هضبة الأناضول و ما جاورها وفيما يلي سنبرز هذه الدوافع وهي كالآتي :

1- ظروف بلاد الشام الداخلية :

تمتعت بلاد الشام في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد باستقرار سياسي نسبي علـى عكـس النصـف الثـاني مـن الألـف الثـاني قبـل المـيلاد ، قامـت فيهـا دويـلات كثيـرة مثـل أوغاريـت ، الألـخ ، قـادش ، أمـورو ، جبيـل ، ومجـدو غيـر أنــه لـم يسـعف لهـا تحقيـق وحـدة سياسية قوية فيما بينها بل بقيت كل منهافي حالة تجزئة [1]. فكانت كل مدينـة عندما تزداد قوتها الإقتصـادية تسـعى دومـا لفرض سلطتها علـى المدن الأخرى لتغليب مصلحتها الخاصـة علـى حسـاب جارتهـا فمدينـة الالـخ كانـت نموذجـا بـارزا عـن هـذه السياسـة فـي سـهل العمـق فقبيـل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، ومع انتقال مركز السلطة من حلب إلـى الألـخ ومـع سقوط مملكـة مـاري ، وطـدت علاقاتهـا التجاريـة مـع أوغاريـت ، لكـن بحكـم تجـاور الـدولتين توسـع كـل منهما باتجاه الآخر [2] .

كانـت المملكتـان الحيثيـة والمصـرية مـن أبـرز الـدول التـي وجـدت فـي ضـعف بـلاد الشـام، وتفككهـا فرصـة لأن تمـد نفوذهـا السياسـي عليهـا وهـذا مـا أدى إلـى صـراع مريـر بينهمـا مثـل مـا حدث بين ملك حلب ، وتابعه ملك الألخ حينها استغل الملك الحيثي (خاتوشيليش الأول) فرصـة النـزاع فـي حلـب نتيجـة إدعـاء أميتـاقوم Ammitaqum ملـك الألـخ بالاسـتقلال فكـان عـاجزا عـن مساعدة جاره حينما دق ناقوس الخطر أثناء تقدم جيوش خاتوشيليش [3].

1- عبد الحكيم الذنون : تاريخ الشام القديم ، ط 1 ، دار الشام القديمة ، دمشق ، 1999 ، ص 139.

2- المرجع نفسه ، ص 138 .

3-عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 460 .

-2- رغبة مصر في الحفاظ على بلاد الشام:

أما من الجانب المصري فقد استغل تحتمس الأول تدخل الحيثيين في شؤون سورية وإتجه ناحية بلاد الشام ، و أطراف بلاد الرافدين في حينها كانت أحوال بلاد الشام عاجزة عن صد هجرات جديدة ، فتطلع تحتمس إلى جمعها تحت رايته فخرج بجيشه من مصر وعبر بلاد الشام في سرعة غريبة و دون معارضة كبيرة حتى بلغ نهرينا في منطقة ميتان ثم عبر الفرات وأرسى على ضفته الشرقية نصبا حدد به تخوم دولته الناهضة التي امتدت من الجنوب إلى الشمال [1].

لذا فكان الفراعنة يتحينون الفرص لاستعادة نفوذهم في بلاد الشام كلما وجدت ظرفا مناسبا ، وتم لهم تحقيق ذلك عندما تولى الحكم ملوك عظماء مثل تحتمس الثالث (1479 – 1447 ق- م) ، وامنحوتب الثاني (1448 – 1420 ق- م) برعوا في شؤون السياسة والحرب ، خاصة و أن مصر ذاقت ويلات الحروب بعد تعرضها لهجرات الهكسوس ، ولذا فقد وضع الفراعنة قاعدة قائمة على القوة في تحديد حدودهم الطبيعية التي تبدأ في سورية بينما لايأمنون من حولهم من الشرق [2]. ولإثبات ذلك توجهوا بحملاتهم لإجلاء الأعداء عن بلادهم فحاصر مركز تجمعهم في شاروهين حتى أجلاهم عنها و شتتهم بطردهم منها واستعادوا صلاتهم بمتاجر الشمال (بلاد الشام) ومن يتعاملون مع موانئها في ساحل آسيا الغربية [3].

وإبان وصول السلالة الثامنة عشر للحكم (1570 – 1345 ق- م)في مصر تعزز النفوذ المصري في بلاد الشام وشد ملوكها الرحال إلى تلك المنطقة للتصدي للقوى المعارضة لها لمنعهم من بسط نفوذهم وسيطرتهم الكاملة عليها وحرصوا على ضم أبرز مدنها الساحلية أوغاريت ذات الموقع الاستراتيجي إلى جانبهم واحتفظوا فيها بحامية عسكرية خلال عهد

1- عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 306.

2- محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الادنى القديم (بلاد الشام) ، المرجع السابق ، ص 126 .

3- عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 303 .

امنحوتـب الثالـث (1405 – 1376 ق–م) وابنـه اخنـاتون (1376 – 1350 ق– م) بهـذا فقد ضـمنت مصـر السـيادة بـين سـائر شـعوب العـالم القـديم فتسـابقت العديـد مـن الأمـم لكسـب صداقتها و تدفقت عليها الأتاوات والهدايا [1].

عندما بدأت التوسعات الحيثية في شمال بلاد الشام لم يقف المصريين مكتوفي الأيدي، بل قابلوا ذلك بتوجيه عدة حملات اجتازوا بها الحدود المصرية في الشمال والغرب ، ليثبتوا أن مصر في عهد السلام والقوة ، وأولها هذه الحملات حملة أحمس بن أبانا ثم من بعده ابنه امنحوتب الأول (1550 – 1528 ق – م) ليتولى العرش المصري شخصية عسكرية فرضت وجودها في أحداث تلك المنطقة ليبرز من بعدها الملك والقائد العسكري تحتمس الاول (1528 – 1510 ق– م) الذي استغل قوته الدافعة [2] ، والروح الحربية التي سادت شعبه منذ عهدي سلفه فترأس قواته ، ومد حدود مصر الجغرافية إلى أبعد مدى طبيعي ، حيث وصل إلى قرب الشلال الرابع في الجنوب ، واتجه ناحية الشام ، وأطراف بلاد الرافدين وما شجعه على ذلك القوة الدافعة التي صبغت سلوكه في ذلك العصر، وكذلك عامل تحرك الجماعات الميتانية قرب نهر الخابور*، والفرات وفي شمال شرق الشام .

لكن الهدف الأهم من تلك الحملات وهي السيطرة على أبواب التجارة الدولية ، ومداخل هجرات الشعوب في شمال بلاد الشام ، وأطراف بلاد مابين النهرين لحماية أقاليمها في آسيا

1–إبراهيم رزقانة و آخرون : المرجع السابق ، ص 193.

2– عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص ص 304 – 305 .

* الخابور : نهر سوري من روافد الفرات الايسرى طوله حوالي 320 كلم يتلقى مياهه من أنهار كردستان و جبل سنجار و جبل عبد العزيز تقوم على ضفافه عدة مواقع أثرية أشهرها تل الحلف تميزت منطقة الخابور في الألف الثاني قبل الميلاد تتميز بخزف ذي نقوش هندسية انظر عبودي . س . هنري : المرجع السابق ، ص 379 .

الغربيـة مـن الإعتـداءات الأجنبيـة ، وإبعـاد الخطـر الـداهم مـن الشـرق ، والشـمال عـن أراضيها، والمناطق التابعة لها التي ارتبطت بها منذ زمن مبكر [1].

-3- رغبـة الحيثيين في توسيع نفوذهم الجغرافي اتجاه الجنـوب :

منـذ بدايـة تأسيس الدولـة الحيثيـة فـي قلـب هضـبة الأناضـول تطلـع ملوكهـا الأوائـل إلـى توسيع حدود المملكة ، فبدأت توسعاتها أولا في آسيا الصغرى ، وبعدها اتجهت أنظار ملوكها إلـى الأقاليم الواقعة جنوب وغرب بلادهم ، ووصلوا إلـى أقصـى حدودهم ثم اتجهوا شرقا نحو العاصمة خاتوشاش ، وحقق ملوكها هذا الإنجاز بفضل حملاتهم المتكرة في جميع الإتجاهات في إخضـاع المناطق المحيطـة بهم ، فكانت حملـة خاتوشيليش التـي اتجهت إلـى " شاخويتها" * shakhuitta وزالبار zalpar . ليتجـه بعدها إلـى تدمير مدينـة الألـخ ، واخترق إحدى ممرات جبال طوروس وصولا إلى السهول المؤدية إلى أبواب كليكيا ، وتقدم بعدها للقضاء على مدينة أورشو و تمكن من هزيمتها و قدمت لـه الضريبة [2] ، إلا أن هذا التوسع لم يدم طويلا بسبب ظهور الفتن حول ولاية العرش فضعفت الدولة ، و لم يكن باستطاعتها انقاض موقفها اتجاه أقاليمها فتقلصت حدودها في الفترة التي أعقبت مقتل مرشيليش ، و قبيل تولي شوبليوليوما [3].

وعندما أصبحت المملكة الحيثية تمتلك قوة عسكرية و سياسية ضخمة ازداد معها تدفق غنائم الحروب والأتاوات إلى الخزينة الحيثية ، وصار عرشها مغريا للطامعين مما جعلها تقع

1-عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص ص 305 – 306.

* شاخويتها : مدينة في آسيا الصغرى تقع على وادي هاليس العلوي ." زالبار " : تقع إلى الشرق أو الجنوب الشرقي من العاصمة خاتوشاش . " الألخ " : تقع في سهل أنتيوخ بسهل سورية. انظر أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 488.

2- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران- آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص ص 487 – 489 .

3- نبيلة محمد عبد الحليم : معالم التاريخ السياسي و الحضاري في مصر الفرعونية، منشأة المعارف، الإسكندرية ، (د س ن)، ص 72 .

فـي الفـتن و المـؤامرات داخـل الـبلاط الملكـي ، و تشـكلت أولـى حلقـات الدسـائس التـي عمـت القصر الحيثي [1].

فهذه التوسعات التـي شـملت شـمال بـلاد الشـام سـوف تـؤدي بهـا حتمـا إلـى التصـادم مـع الامبراطورية المصرية التي مدت حدودها إلى شمال بلاد الشام .

1- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 271 .

المبحث الثالث : الدوافـع الطبيعـية :

بالإضـافة إلـى مـا تقدم مـن الأسباب ، فكـان العامـل الجغرافـي بـارزا فـي غايـة الأهميـة بالنسبة لأطراف الصراع الثلاث [1]، خاصة المنطقة الوسطى وما ميز سورية القديمة عن غيرها من حضارات الشرق الادنى القديم احتوائها على شبكة من الطرق التجارية ، وهذا ما وفرته لها الطبيعة الجبلية للبلاد المتموقعة في الطرف الشمالي الغنية بالمعادن فهي تشمل على الذهب و الفضة و القصدير و النحاس ، و انحدرت هذه الطرق من الشمال و الشرق هذا ما جعل تاريخ المنطقة حافلا بالعديد من الأحداث للسيطرة على هذه الطرق ، لذا كان اهتمام الملوك منصبا دائما إلى العناية بالجبال التي تأتي عبرها الحملات [2].و ما زاد في أهمية المنطقة اتصالها من جهة الشرق ببلاد الرافدين صاحبة أعرق حضارة في تاريخ العالم القديم جمعاء ، ومن جهة الغرب تطل سواحلها على البحر الأبيض المتوسط بشريط ساحلي يقدر طوله بـ 440 ميلا [3] .

تتصل سورية بصورة دائمة وسهلة بالعالم الخارجي بواسطة الطريق الدولي المنطلق من النيل ، ويتفرع إلى مناجم النحاس والبرونز في شبه جزيرة سيناء ، كما يتفرع إلى أراضي في جنوب الجزيرة العربية ، ومن سيناء يتحول شمالا نحو[4] ساحل فلسطين حتى الكرمل بالقرب من البحر ، وهنا يتفرع إلى طريقين أحدهما يتجه إلى الساحل فيصل إلى صور وصيدا و جبيل،

1- عبد العزيز صالح : ، الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 18 .
2- سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص 39 .
3- فليب حتي : ، تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ، ج1، ص 32 .
4- المرجع نفسه ، ص 64 .

أما الطريق الآخر فيجتاز سهل مجدو* ويعبر الأردن في واديه الشمالي[1] ثم يتجه إلى دمشق في الشمال الشرقي و يتفرع منه طريق يعبر بادية الشام بواسطة تدمر و يربط مركز سورية مع قلب بلاد الرافدين ، أما الطريق الرئيسي فإنه يتجه من دمشق نحو الغرب ، ويعبر لبنان الشرقي و يصعد شمالا عبر سورية المجوفة متبعا نهر العاصي وقادش* إلى شمال سورية، وعند قادش يتفرع إلى الشمال الغربي نحو

كيليكيا ليصل آسيا الصغرى ، ثم يتجه شرقا نحو الفرات ، ومنها نحو دجلة ويتجه جنوبا نحو الخليج الفارسي [2].

بالنسبة لمصر بحكم قربها الجغرافي من بلاد الشام فهي تحد مصر من الشمال الشرقي وخاصة جهة الجنوب التي استقر فيها الهكسوس فكان فراعنة الدولة الحديثة (1570 – 1080 ق – م) يسعون سعيا حثيثا لتأمين حدودهم مع هاته المنطقة وذلك بوضع قوة لمنع الاحتكاك عند مدخل ممر الغزو في إقليم حلب ، بين الفرات والعاصي[3].

وعند اعتلاء تحتمس الثالث عرش مصر، وبدأ بتوجيه حملاته إلى بلاد الشام التي جعلت منه قوة عظمى تسيطر على أجزاء واسعة من الشرق الأدنى القديم ، فأكسبه ذلك ود ملوك خيتا الذي أرسل لأول مرة سفيرا إلى الفرعون يحمل هدايا يطلب ود ملك دولة تلامس حدودها حدود

* مجدو : تقع إلى الغرب من بحيرة طبرية، وعلى بعد 32 كيلا جنوبي شرق حيفا في المنطقة الجنوبية المنتهية بجبل الكرمل في الشمال احتمت المدينة أول معارك الفرعون تحتمس الثالث (1490 – 1436 ق– م) ، انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 300 .

1– محمد أمين حسن خليفة : رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم و حضارته ، (د ، ط) ، دار قباء ، القاهرة ، 1998، ص 170 .

* قادش : مدينة سورية تقع الشاطىء الأيسر لنهر الاورونط (العاصي) على بعد بضعة كيلو مترات ، جنوبي النهاية الجنوبية لبحيرة حمص . انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 296 .

2– فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق، ج1، ص ص 64– 65 .

3– أحمد أمين سليم : في تاريخ الشرق الادنى القديم (مصر – سورية القديمة) ، المرجع السابق، ص 144 .

بلاده، ونفس الحال مع ملوك الحضارات المعاصرة له فبابل أيضا سارت على نفس النهج، أما بلاد أشور طلبت صداقته منذ السنة الرابعة من حكمه [1].

وكان توجيه حملاته إلى بلاد الشام على رأس جيش مستعدا للنضال وإخضاع الممالك واتجه إلى البلاد الآسيوية انطلاقا من مدينة القنطرة* ، وهي آخر مدينة مصرية على حدود مصر الشمالية الشرقية حوالي (1479 ق – م) فوصل إلى غزة** على بعد 160 ميلا من مدينة ثارو، وزحف شمالا بمحاذات منحدر شمال جبال الكرمل قاصدا مدينة مجدو وعندما وصل إليها علم أعدائه بقدومه فعقد مجلسا عسكريا مع كبار ضباط لاختيار أحسن الطرق الممكن اتباعها لعبور جبال الكرمل ، وهذه الطرق منها الطريق الاول الذي يبتدأ من يوحم ويتجه إلى مدينة أروما محترقا جبل الكرمل واصلا إلى مجدو ، و أما الثاني يتجه جنوبا مار ببلدة طناخ بعد خمسة أميال من الجنوب الشرقي لمجدو، وأما الثالث شمالي ذلك يمر مخترقا بلدة زفتي و ينتهي بالشمال الغربي لمجدو [2] ، وتقدم بجيشه بعد وصول مؤخرته لجنوب مجدو ونظم جيشه بأن جعل للجيش قلبا و جناحين كما أرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها واحدات استكشافية كأحدث تعاليم الحرب الحديثة انطوت خطته[3] على ثلاث مبادىء هامة في الحروب و هي المفاجأة والوقاية والقتال الهجومي. هاجم الجيش المصري مدينة مجدو لكن هذه المعركة باءت بالفشل نتيجة ترك المعسكر، ولولا أن الجنود المصريين شغلوا أنفسهم بنهب

1– سليم حسن : المرجع السابق ،ج4 ، ص 435.

* القنطرة : وهي مدينة ثاروا القديمة ، وكانت " ثارو " وحصونها تقع على شاطىء إحدى القنوات القديمة فوق القنطرة يسجل عليها كل من يدخل سيناء اسمه و تاريخ قدومه . انظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم ،ج1 ، المرجع السابق، ص 184 .

** غزة: من أقدم مدن فلسطين تبعد ثلاثة أميال على ساحل البحر المتوسط و عشرة أميال إلى الجنوب من عسقلان ، وتعتبر من أقدم المدن التي سكنها الكنعانيون . انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 488.

2– جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر، المرجع السابق ، ص ص 188 – 189 .

3– أحمد أمين سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر– العراق– إيران) ، (د ط) ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1989 ، ص 150.

المعسكر لأمكنهم الإستيلاء على المدينة، هذا الخطأ كلفهم سبعة أشهر لحصارها حتى استسلمت وقدم جميع من فيها من الزعماء ولاءهم وخضوعهم ، وكانت هذه الحملة فاتحة لـ 16 حملة [1].

رأى تحتمس الثالث ضرورة إعداد بعض الموانىء السورية لتكون قاعدة للأسطول المصري ، وتمكن في حملته السادسة من لإستيلاء على قادش ، وأحضر معه إلى مصر أبناء الزعماء السوريين كرهائن في مصر بلغ عددهم 36 أمير، كان الهدف من هذا السلوك ضمان ولاء الزعماء ، وحسن تصرفهم ليزداد إرتباطهم بمصر، وعندما يكون حكاما في المستقبل يبقون على ولائهم لمصر[2].أما في الحملة السابعة التي يهدف من وراءها الاستيلاء على المزيد من الموانىء الفينيقية مما يسهل ويضمن المواصلات البحرية بين مصر وآسيا واستخدامها لتخزين الضريبة السنوية إلى أن يتم نقلها إلى مصر [3]، بعد ذلك وجه اهتمامه للإستيلاء على قرقميش يعتبر الاستيلاء عليها فتح الباب لأحسن طريق ممكن لعبور نهر الفرات ، انتهت المعركة باستيلاء المصريين على الأراضي الواقعة على شرقي نهر الفرات [4].

1- أحمد أمين سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر- العراق- ايران) ، المرجع السابق ، ص 151.

2- سليم حسن : المرجع السابق ، ج4 ، ص 430 .

3- زكية يوسف طبوزادة : تاريخ مصر القديم من أفول الدولة الوسطى إلى نهاية الأسرات، (د ط) ، القاهرة ، 2008 ، ص 67 .

4- سليم حسن : المرجع السابق ، ج4 ، ص ص 433 - 435 .

الفصل الثالث

مراحل الصراع

المبحث الأول : مرحلة الصراع السياسي

المبحث الثاني : مرحلة الصراع العسكري

مراحل الصراع :

مر التنافس الحيثي المصري على بلاد الشام بمرحلتين أساسيتين تميزت كل مرحلة بالعديد من التغيرات في سيرورة الاحداث ، وهما مرحلتا التنافس السياسي أعقبها صراع عسكري امتدت كل مرحلة فترة من الزمن تفاوتت زمنيا ، باعتبار أن المرحلة الاولى كانت أوسع زمنيا تحكمت فيها ظروف الدول المتصارعة الداخلية والخارجية فيما يخص حدة الصراع اختلفت من مرحلة إلى أخرى تتأرجح أحيانا وتهدأ أحيانا ، ومن ثم تزول أحيانا أخرى .

المبحث الأول : مرحلة الصراع السياسي :

تشكل حادثة غزو الحيثيين لحلب على يد تودخالياش الثاني في أواسط القرن السادس عشر قبل الميلاد نقطة انطلاق الشرارة الاولى للتنافس الحيثي المصري على بلاد الشام بصفة عامة. وهذه المرحلة بصفة خاصة وكان غزو حلب كعقاب لها بسبب عودتها للخضوع إلى هانيجلبات *(الدولة الميتانية) .غير أن تاريخ تدمير حلب وظروفه غير مؤكدة ، إلا أن وضع هذا الحادث حسب تاريخ سورية بناء على فترة الضعف التي ألمت بدولة الحيثيين في أعقاب الدولة القديمة ، بعد تمكن إحدى الوحدات السياسية الحورية وهي هانيجلبات من السيطرة على شمال سوريا حوالي 1500 ق- م و نجحت في الاعتداء على حدودها ، ولم يستطع الحيثيون دفعه عنها . لذا يرجح أن يكون غزوها لا يمكن أن يكون متأخرا عن هزيمة هانيجلبات على يد الفرعون المصري تحتمس الثالث في سنة 1457 ق- م الذي تمكن من إنهاء السيطرة الحورية في سورية في حملته الثامنة سنة 1450ق- م ، وأصبح المصريون هم أصحاب السلطة العليا في سورية في ذلك الوقت[1]. بعد أن فقدت الدولة المصرية السلطة العليا على بلاد الشام في عهد الملكة حتشبسوت(1501- 1480ق- م) .

1- احمد امين سليم : تاريخ العراق- ايران - آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص496 .

*هاني جلبات*هي تسمية اطلقت على الدولة الميتانية باللغة البابلية و تقع في شمال شرق بلاد الشام .

يقدم لنا ملك يمخاذ (1510 – 1480 ق- م) وهو أدريمي دليلا عن تبعية مملكة حلب أو عدمها للسلطة الحورية الميتانية ، وفراره من حلب في هذا الصدد.

يقول :" لقد اندلعت نيران العصيان في بيت والدي في حلب ، و هربنا إلى أخوالي سكان إمار* "[1].

وهنا يجوز لنا القول بأن يكون أحد الملوك الحوريين الميتانيين المبكرين الذي أوقد نار العصيان الذي انهى حياة " ايليم- ايليما " والد الملك " ادريمي " . ولكنه لم يمكث طويلا في منفاه بين أخواله .

انفرد فيما بعد في تنفيذ مخططه الرامي إلى تأسيس حكم بعيدا عن النفوذ الحوري الميتاني، في أرض كنعان . وما يثبت ذلك اتصاله بالمصريين الذين أقلقهم تعاظم النفوذ الميتاني في بلاد الشام ، وهناك قرائن تشير إلى صحة هذا الاعتقاد من أهمها وصول " تحتمس الاول " بفتوحاته إلى نهر الفرات وصول "أدريمي " إلى " الألخ ". في الوقت الذي شن فيه " تحتمس الاول " هذه الحملة الناجحة ضد أمراء أواسط ، وشمال بلاد الشام والمملكة الميتانية [2]. إلا أن الظروف الصعبة التي عاشتها الاطراف المتصارعة غيرت نوعا ما في الاحداث . فالمملكة الحيثية عاشت أصعب الاوقات بعد وفاة ملكها تودخالياش الثاني تزامنت مع حدوث التقارب المصري الميتاني وتوج ذلك بزواج سياسي بين تحتمس وابنة الملك الميتاني "شوتارنا ابن ارتاتاما "، لكن ذلك اثر على منحى العلاقات وكادت تؤدي بالمملكة الحيثية

* إمار: من أهم المدن العمورية المهمة التي تقع على نهر الفرات ، وكان لها علاقات واسعة معالم ممالك الأخرى في بلاد الرافدين خاصة الملك البابلي حمورابي، وقد أكدت نصوص إيبلا القديمة على وجود علاقات بين إمار وإيبلا، وخاصة التجارية منها، وكانت معظم الصادرات من إيبلا هي من المنسوجات التي ترسل إلى ملوك وزعماء إمار . انظر شوال حسن إسماعيل : المرجع السابق ، ص ص31- 32 .

1- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ص262 – 263 .

2- المرجع نفسه ، ص 263 .

للسقوط [1].ولم تعد المملكة الحيثية إلى سابق قوتها إلا في عهد ملكها شوبليوليوما (1380 – 1340ق–م) وفتح عصرا جديدا للدولة الحيثية ، و لمنطقة الشرق الأدنى القديم و بدأ عهده بترتيب أمور الدولة ، ووجه حملاته ضد مملكة ميتاني في عهد ملكها توشراتا ، بعدما نجح في تحقيق انتصارات على الجهات الشمالية الشرقية ،و الشمالية و الشمالية الغربية فدحر أراضي غرب الفرات ، و حلب و بعض المدن السورية التي مكنته من السيطرة المصرية على مستعمراتها في سوريا منذ عهد امنحوتب الثالث [2].و لترسيخ دعائم دولته قام بتعيين حكام من أفراد عائلته على أقاليم الأناضول ، ودعم الجهاز الحكومي بموظفين أوفياء مخلصين، كما أحاط نفسه بسياج من حكام موالين له في الولايات المختلفة ، وربطهم بالبيت المالك الحيثي برباط المصاهرة [3].و لما استتبت له الأوضاع رأى أن أول عمل يجب القيام به ، هو إعادة بسط نفوذ الحيثيين على المناطق التي انفصلت عن مملكتهم في سورية ، وشرق آسيا الصغرى وغربها وخاض أول حروبه ضد سكان مناطق شرق آسيا الصغرى وفي أعالي الفرات ، وانتصر فيها جميعا[4].

ولم تكد أنباء انتصاراته تصل إلى مسامع أمراء الممالك الصغيرة الاخرى في غرب آسيا الصغرى حتى سارعوا لإعلان الولاء من جديد للمملكة الحيثية و التحالف معها بإبرام المعاهدات ، وكانت أولى حملاته نحو الجنوب ، واجتاز الملك الحيثي في مقدمة جيشه جبال طوروس ، ووصل إلى لبنان وغزا مناطق "عمّورو " في أواسط شمال بلاد الشام وعلى ساحلها وفرض على أمرائها الضريبة [5]. و لم يقبض الحيثيون على زمام الأمور فيها تماما ، حتى أصبحت معظم الولايات السورية موالية للحيثيين ، وأبرزها هي حلب التي ارتبط بها بواسطة

1– توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 367 .

2 – حسين محمد محي الدين السعدي : في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق – ايران – آسيا الصغرى) ، ج2 ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1995 ، ص ص 304– 305 .

3– عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص479 .

4– توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 275 .

5– المرجع نفسه ، ص275 .

معاهدة ، و نفس الحال ينطبق على موكيش (الألخ) ، و كذلك ملك تونيب* أما أوغاريت التي كانت محمية من الشمال بمرتفعات فهناك ما يشير إلى أن ملكها اميشتارو بقي على ولائه لملك مصر، أما ابنه نقمادو فظل يراسل فرعون مصر[1] .

ومع ذلك لم يتسرع شوبليوليوما بعملياته العسكرية ريثما يتسنى له موقفه السياسي والعسكري مع الدولة الميتانية التي تشكل العقبة الرئيسية أمام مشاريعه التوسعية في بلاد الشام ، وأسفرت هذه السياسة خصوصا على مدينة كيزواتنا السالفة الذكر لتحجيم خطر المملكة الحوريين عن انضمامها إلى النفوذ الحيثي . وفك ارتباطاتها السياسية مع المملكة الميتانية ، وبموجب هذه المعاهدة التي أبرمها الجانبان وتعهدت كيزواتنا بدفع ضريبة للحيثيين ، وتجهيزهم بجيوش عند الحاجة، ومنذ ذلك الوقت احتلت مكانة مرموقة ضمن إطار المملكة الحيثية الجديدة على الصعيدين السياسي والعسكري[2]. واستغل شوبليوليوما الخلاف الدائر بين الملك توشراتا وشقيقه أرتاتاما الثاني على تولي العرش الميتاني[3] . وبعد هذه الاستعدادات بدأت القوات الحيثية بتنفيذ مخططها للوصول إلى بلاد الشام عبر الأراضي الميتانية فتحركت جيوشه نحو سورية، وخضعت له كل المناطق بين الفرات والبحر المتوسط ،

وفي هذا الظرف قام توشراتا بغزوة مضادة إلى سورية وحاول الاستيلاء على جبيل لكنه تقهقر فرجع . وصلت الجيوش الحيثية إلى حدود المملكة المصرية في سورية وتوقفت قواته ، ولم يرغب في مخاصمة فرعون مصر لأنه لم يحسم موقفه مع توشراتا بعد، ولم يصبح لملك

* تونيب : وهي مدينة بعلبك الحالية تقع في سهل البقاع في لبنان على بعد 42 ميلا إلى الشمال الغربي من دمشق . انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 457 .

1- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص480.

2- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 275 .

3-حسن محمد محي الدين السعدي : المرجع السابق ، ص 305 .

ميتاني سلطان على سورية في الوقت ذاته ارتبط بمصر عن طريق قادش الواقعة في منطقة نفوذ مصر، وامتدت مملكة توشراتا إلى بلاد الرافدين، وكذا الولايات الشرقية [1].

زحفت القوات الحيثية نحو الشرق وصولا العاصمة الميتانية (واشوكاني)*[2] التي دخلها الحيثيون وبدون أن يبدي الميتانيون أي مقاومة تذكر إما لكونه غائبا في بلاد الشام آنذاك أو لأنه انسحب منها قبل توجه الحيثيين إليها[3]. ثم توجه شوبليوليوما بجيشه وزحف ناحية الغرب فعبر نهر الفرات جنوبي قرقميش ، وبعد أن فرغ من عملياته على هذا النحو سار قدما إلى حلب فافتتحها ، و هكذا انفتح الطريق على مصرعيه ، وعزل قرقميش واندفع صوب وادي العاصي مكتسحا مقاومة زعماء العشائر الذين تحالفوا عليه ، وأخذت المدن الواقعة في أكناف هذا النهر تتهاوى واحدة بعد الأخرى متأثرة بضرباته أو تسلم نفسها له [4]. ولم يقصد شوبليوليوما مهاجمة قادش. مدخل البلاد العمورية إلا أن قادة الميتانيين الذين كانوا لا يزالون يحتلونها هرعوا بأنفسهم ليلقوه في الميدان بعجلاتهم الحربية . وانتهت هزيمتهم الساحقة بعد اكتساحهم ومحاصرتهم في مدينة مجاورة (قد تكون مدينة حمص) ، وأصبح لشوبليوليوما سلطان على سورية الشمالية الذي لا تنازعه أي قوة [5].

أسفرت حملة شوبليوليوما عموما على بلاد الشام عن تعرض هيبة مصر لضربة قاضية، والأخطر من ذلك أسرع رؤساء العشائر في الأقاليم يعلنون ولاءهم بل دخل حكام العموريين

1- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ص480 – 481 .

* واشوكاني : عاصمة دولة ميتاني عاصرت الإمبراطورية المصرية (1575- 1087 ق-م) ، أثرت القوة الجديدة في بلاد أشور ، وهي تمثل حاليا تل الفخارية حاليا ، استغلت ضعف الإمبراطورية الحيثية و انقساماتها الداخلية ، و مدت نفوذها على المناطق الواقعة بين بحيرة وان و أواسط الفرات ، و من جبال زاغروس حتى الساحل السوري . انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 452- 453 .

2- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص276 .

3-جون .ا . هامرتن : تاريخ العالم ، مج2 ، تر : وزارة المعارف العمومية ، (د ط) ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، (د س ن) ، ص25 .

4- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص276 .

5- جون .ا .هامرتن : المرجع السابق ، ص 25 .

الأقوياء في مفاوضات من أجل التحالف مع الملك الحيثي، أما في أقصى الجنوب حتى حدود فلسطين فقد ترك هذا الفتح أثر بالغا في نفوس السوريين، ومضت فرق الحيثيين في سبيلها تمضي قدما لتسقط المدن السورية الواحدة تلوى الاخرى إما في أيديهم أو في أيدي العموريين[1].

أما مع الجانب المصري بالرغم من روح العداء التي تدينها خاتي باستمرار نحو مصر، إلا أن ملوكها كانوا يسارعون إلى التحالف مع الفرعون، ومحاولة كسب وده، وإرضاءه كلما تطلبت مصلحتهم إلى ذلك، فعندما اصطدم شوبليوليوما مع الملك الميتاني توشراتا سارع بالكتابة إلى امنحوتب الرابع يهنئه بمناسبة ولايته على العرش المصري، ويطلب تجديد العلاقات التي كانت بينه وبين امنحوتب الثالث [2].لذا ليس بغريب أن لا يعترض امنحوتب الثالث على هجوم الحيثيين على شمال بلاد الشام فيرى أنه أمر طبيعي، لأنه يعدها بدون سيد، ولأنه صاحب الحق في الاستيلاء عليها لأن جده انتصر على حلب وجعلها أحد ولاياته[3].

أدرك شوبليوليوما (1380 – 1340 ق- م) اثناء صراعه مع ميتاني التي أنقذتها مصر منه على أيام امنحوتب الثالث (1405- 1376 ق – م)؛ انه لم يتمكن من تحقيق أغراضه في غرب آسيا (سورية – فلسطين – فينيقيا) ما دام النفوذ المصري قويا وما دام تلك الأمراء على ولائهم لفرعون مصر، ومن ثم أخذ يؤلب هؤلاء الأمراء ليشقوا عصا الطاعة على الفرعون، واستجاب لدعوته ايتوجاما(أمير قادش) الذي بسط نفوذه على سهل سورية الشمالي، وهزم الأمراء الموالين لمصر ثم (عبدي عشرتا) أمير الأموريين الذي تمكن من بسط نفوذه

1- جون .ا . هامرتن : المرجع السابق ، ص25 .

2- نبيلة محمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص 73 .

3- سليم حسن : مصر القديمة ،ج5 ، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1992 ، ص 365 .

عنوة على حساب جيرانه فاحتل قطنا*، و" حماه "، و" نـي " في الداخل ثم احتل أرواد وهاجم سيميريا وتوسع نحو ساحل البحر المتوسط [1].

واستعان بجماعات الخابيرو* الذين تعاونوا مع المتمردين ضد الفراعنة الذين هددوا الأجزاء الشمالية من بلاد الشام [2].

رغم كون شخصية أخناتون سلمية إلا أنها ظلت في آسيا تقاوم سلطة الأعداء فكانت سلطته قائمة على سورية وفلسطين وبابل ، و ظل أمراء بابل وأشور وميتاني تتنافس لاكتساب محبة مصر، وسار قصر فرعون مصر مركز للتخاطب مع كبار حكام ذلك العصر، وهذه الخطابات أبرزها رسائل تل العمارنة البالغ عددها حوالي ثلاثمائة خطاب [3]. و ليتمكن الحيثيين من تحقيق أغراضهم في فرض سلطتهم على بلاد الشام استعانوا بأمراء بلاد الشام المناهضين للسلطة المصرية ما فتح المجال أمام الحيثيين للانتصار في الحروب . في نفس الوقت كان هناك ربعدي أمير جبيل الموالي لمصر ظل طوال حياته يرسل توسلاته اليائسة إلى فرعون يطلب منه العون ضد عبدي عشرتا ، وابنه عزيرو اللذان حاولا القضاء على النفوذ المصري في فينيقيا و سورية الشمالية ، و يكتب ربعدي أمير جبيل في إحدى رسائله بأن قوم حاتي أحرقوا الأراضي وأنهم يجمعون الجنود لفتح جبيل [4].

---

* " قطنا " : مدينة سورية قديمة اتخذها الهكسوس (1785 – 1580 ق- م) عاصمة لهم و تعرف أطلالها اليوم باسم المشرفية في شمال شرق مدينة حمص . انظر : أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 490 .

1- محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الادنى القديم (بلاد الشام) ، المرجع السابق ، ص ص 128-129 .

* الخابيرو : هم جماعة من المرتزقة الاجانب يجتاحون البلاد في الجهة الجنوبية ، و ظهرت هذه الكلمة في المدونات المصرية في الفترة (1300- 1150 ق- م) بشكل عبيرو ، و ظهروا لأول مرة في الحوليات الحثية في عهد مرشيليش الاول حوالي (1600 ق- م) و ذكر الإسم في وثائق ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد . و هذا الاسم ليس عرقيا إنما تسمية أطلقت على جماعات من الرحل و الاجانب ، و إنضم هؤلاء إلى صفوف الجيش للحصول على أجور أو غنائم .انظر فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق ،ج1، ص173 .

2- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ،ج1 ، 173 .

3-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص ص219 – 220 .

4- محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الادنى القديم (بلاد الشام) ، المرجع السابق ، ص ص 128- 129 .

تقدم لنا رسائل تل العمارنة كثيرا من رسائل أمراء فينيقيا الموالين لمصر الذين يحذرون الفرعون من تدخل الحيثيين والاموريين في شؤون المدن الفينيقية فكان اكزي أمير قطنة يبعث برسائل لامنحوتب الثالث طالبا منه إرسال رماة الأقواس[1].

ثم يكتب مرة أخرى إلى الفرعون ينبئه بأن قطنة ورجالها قد أخذهم ملك حاتي وأمير العموريين، وفي رسالة أخرى يخبر الفرعون بأن جيوش الحيثيين قد توغلت في منطقة نفوذه في وادي الأورونط ، واستولت على تمثال للمعبود " آمون رع "[2].

وفي عهد امنحوتب الرابع(اخناتون) (1376 – 1350 ق- م) يكتب إليه قائلا: " فلينصت الملك مولاي إلى كلمات خادمه ولتات العربات ورماة الْأقواس لتحمي مدينة الملك ... "[3].أما دور الأمراء المخلصين مثله أمير اورشليم عبدي خيبا [4]. واامير مجدو بريديا [5]. كما قامت قبائل الخابيرو بالثورة كما فعل الحيثيون شمالا وبسطوا نفوذهم على فلسطين وإتهام الخائنين لولاة فرعون بفلسطين بأنهم سلموا قادش ودمشق إلى بدو الخابيرو كما يغيرون على المدن الآمنة وتسيطر سفنهم على البحار مانعة عنهم الغذاء والمدد الحربي [6]. من جهة أخرى فقد الحيثيون بعض المناطق من شمال بلاد الشام حيث أعلنت مملكة الالخ و ني ونوخاشي* الثورة على شوبليوليوما وان الميتانيين هم من قاموا بتدبير ذلك [7]. في الوقت ذاته استولى شوبليوليوما على العديد من المدن التي كانت خاضعة للميتانيين في شمال بلاد الشام على

1- محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الأدنى القديم (بلاد الشام) ، المرجع السابق ، ص 129 .

2- المرجع نفسه ، ص ص 129 – 130 .

3- james glaisher chairman : the tell amarna tablete , London , 1893 , p56 .

4- نبيلة محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص 79 .

5- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 487 .

6-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 257 .

* نوخاشي : مدينة تقع في سورية الداخلية يحدها غربا نهر العاصي ، و شمالا حلب ، و من الجنوب حمص .انظر . جون .ا. هامرتن : المرجع السابق ، ص 24 .

7- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 485 .

حصون كوتمار وسوتا والألخ عاصمة موكيش واستعان بـ ايتاكاما و ساعده عزيرو في مد نفوذه نحو الحدود المصرية ، ووجد ايتاكاما بالقرب من شرقي قادش (في قطنة) حقلا خصيبا لتحقيق محاولاته في التوسع وتقدم أشياع الحيثيين نحو الجنوب إلى وادي البقاع ونحو الشرق حتى مدينة دمشق[1] . وبالرغم من إنشغال اخناتون بإصلاحاته الدينية قام ببعض المحاولات بإرسال أحد موظفيه للتحقيق في الامر إلا ان هذا الموظف باع نفسه لعزيرو ووقف إلى جانبه في محاربة المخلصين لمصر للقضاء عليهم ، هكذا اصيب النفوذ المصري بضربات قاضية في سوريا ، وفي مدن الساحل الفينيقي و في أعلى الفرات [2]. ولضمان نفوذه في هذه المناطق لأي ظرف طارئ في المستقبل عقد شوبليوليوما سلسلة من المعاهدات السياسية مع حكام نوخاشي أمورو، وتونيب[3]. وبالمقابل تعهد هؤلاء بموجبها بالوقوف إلى جانب المملكة الحيثية ضد أي خطر يهدد نفوذها في تلك المناطق؛ مقابل ذلك تعهد الملك الحيثي بتقديم المساعدة لهؤلاء الأمراء إذا أعلنت الحرب على أي واحد منهم [4].

ومن هذه المعاهدات : معاهدة ابرمت مع خلفاء عزيرو الملك العموري ، ومع تيتي أمير نوخاشي و تالميشاروما أمير حلب مع نيقمادو الثاني ونيقميبا أميرا أوغاريت وكذلك أمير قرقميش المدعو تالميتيشوب لكن الفارق بين هذه المعاهدة ، والمعاهدة الفائتة الذكر هو أن ملك قرقميش وضع فيها على قدم المساواة مع الملك الحيثي كحليف شرعي[5]. إذ عين ابنه تليبينوس ملك على حلب وابنه بياسيل ملكا على قرقميش [6] . وأثناء حصار شوبليوليوما لمدينة قرقميش أرسل القائدان لوباكي وتشوب سليمان ليفتحا إقليم العمق وهو(الوادي المحصور بين جبلي لبنان

1- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ص 485 - 486 .
2- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص 253 .
3- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص379 .
4- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص 384 .
5- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 379 .
6- سليم حسن : المرجع السابق ،ج5 ، ص 384 .

الشرقي والغربي) ، وكانت نتيجة ذلك أن ذعر المصريون وولوا هاربين [1]. وبذلك اتضحت حقيقة الصداقة التي كان ملك خيتا يحافظ على دوامها بينه وبين مصر، فأصبح البلدان في حالة حرب علنية .من المرجح أن أخناتون توفي عقب هذا الغزو مباشرة بحيث أن آخر رسالة من رسائل تل العمارنة التي أورد خبر الغزوة ، والتي قال عنها توت عنخ آمون عندما أرسلت الجنود إلى بلاد فينيقيا لأجل مد حدود البلاد المصرية ولم يكن في استطاعته الوصول إلى النتيجة ، وأدى تغلغل القوات الحيثية في إقليم العمق إلى اصطدامهم بالمصريين إلى الدخول في التنافس على بلاد الشام . وهو ما سنوضحه في المبحث القادم [2].

1 – المرجع نفسه ،ج5 ، ص 351 .

2– سليم حسن : المرجع السابق ،ج5 ، ص386 .

مرحلة الصراع العسكري:

منذ وفاة اخناتون بدأت تظهر في أرض مصر ملامح تغيير لوضعها الجديد لكنها لم ترتقي إلى مستوى الحرب بأتم معنى الكلمة يهدف ذلك إحداث أفكار، ومفاهيم جديدة غايتها الرجوع إلى القديم مع العلم أن ملامح هذا التغيير بدأت تظهر منذ تواجد اخناتون على رأس عرش مصر ، جعلته يتعرض لمؤامرة من طرف كهنة الإلـه آمون المعرضين لديانته الجديدة، وكادت تؤدي بحياته لولا يقظة رئيس شرطته المدعو " ماحو " الذي تمكن من القبض على المؤتمرين وساقهم إلى المحاكمة[1] .رغم إصرار اخناتون على وحدانية هذا الدين الجديد غير أنها لم تلقى صداها فبمجرد وفاته عاد الناس إلى عبادة الإله آمون [2]. بما أن هذه الديانة غريبة عن عقيدة المصريين القدماء فمن الطبيعي أن يعترض لهذه الدعوة ويحمل لواءها حزب كهنة الإله آمون الذين فقدوا ممتلكاتهم إبان عهد اخناتون ويساندهم في ذلك فيما يعرف بـ الحزب الامبراطوري وكذلك الأهالي الذين خدم أجدادهم في البلاد الآسيوية التي ضاعت مستعمراتهم فيها جراء اهتمام اخناتون بثورته الدينية وتقصير الملك اخناتون في القيام بواجباته فقد وجد هذان الحزبان في تذمر الأهالي مما لحق عاداتهم و تقاليدهم وعقائدهم الدينية القديمة من إهانة في عهد هذا الملك فرصة للعمل سويا في التصدي للدعوة وتغييرها[3]. لكن بعد وفاة أخناتون مخترع الديانة الآتونية عاد المصريون إلى عبادة الإلـه آمون ، وما ساعد على ذلك أن اخناتون لم يرزق بولد فشرع في تزويج ابنته مريت آتون من الأمير الصغير سمنخ كارع (1350 – 1347 ق- م)[4]، وأشركه معه في الملك وبعد وفاته في ظروف غامضة في مدينة طيبة [5]، تولى بعده توت عنخ آمون (1347 – 1339 ق- م)الذي

1-أحمد امين سليم : في تاريخ الشرق الادنى القديم (مصر و سورية القديمة) ، المرجع السابق ، ص ص157 – 158 .
2- سمير أديب : تاريخ و حضارة مصر القديمة ، (د ط) ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1997 ، ص183 .
3- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 260 .
4- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص 249 .
5- المرجع نفسه ، ص 250 .

أعلن زواجه من الابنة الثالثة لأخناتون عنخس إن با آتون [1]. ونتيجة لصغر سنه قوي نفوذ كهنة الإله آمون كثير مما اضطره الى أن يهجر" آخت آتون " العاصمة بعد مدة من الزمن وأن ينضم إلى الكهنة وينتقل بحاشيته إلى طيبة التي استمرت مهجورة من عطف الفراعنة عشرين سنة تقريبا[2]. ولم تكد تهدأ الأوضاع في الإمبراطورية المصرية بدأت بلاد الشام تتلألأ في الفوضى و الاضطرابات التي أحدثتها القوات الحيثية وفي الوقت ذاته بدأت القوات الحيثية يزداد خطرها في بلاد الشام فظهرت عدة ثورات في أنحاء متفرقة من المنطقة [3]. فلم يتوان الفرعون توت عنخ آمون في توظيف هذه الأحداث لصالحه . فقد كانت له بعض الإسهامات الداخلية و الخارجية في الجانب السياسي ، و العسكري فقد بذل قصارى جهده بكل ما في وسعه لإصلاح الموقف في آسيا . يحتمل أنه ذهب حوالي عام الثاني عشر من حكم أخناتون في حملة إلى سورية ، وهناك حقيقة واقعة تثبت أنه في العام الأول من حكم توت عنخ آمون ذهب على رأس جيش لإعادة الأمن إلى بعض ولايات فلسطين وفينيقيا أما في سورية ، وفي شمال الفرات فقد كانت الحالة محرجة إلى أبعد الحدود[4] ؛ بيد ان هناك رأي يثبت ان حور محب كان جاد في إعادة استقرار الامور في آسيا فعقد معاهدة بينه وبين مورشيليش الثالث ملك خيتا ضمنت له استقرار الأمور على الحدود ليتجه من بعدها للاهتمام بالإصلاحات الداخلية [5] .

وعلى أية حال فلقد بدأت مصر تعمل على استعادة وحدة البلدين في ظل التاج المصري ، وتحدثنا بقايا مقبرة القائد حور محب في منف عن حملة كللت بالنصر في غربي آسيا وأن القائد حور محب كان عند قدمي سيد الفرعون في ساحة القتال في يوم ذبح الآسيويين تهدف

1- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص 251 .
2- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 261 .
3- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص370 .
4- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص 254 .
5- المرجع نفسه ، ص 264.

هذه الحملة لاستيراد الهيبة المصرية في غربي آسيا، والاستيلاء على الضريبة الآسيوية التي بدأت تتدفق من جديد على خزائن الفرعون [1].

وبعد وفاة الفرعون توت عنخ آمون اضطربت الأحوال في بلاد النيل لعدم وجود وريث شرعي في الحكم فاضطرت أرملته عنخس أن آمون لأن تكتب رسالة إلى الملك الحيثي شوبليوليوما قائلة:" مات زوجي وليس لي ابن ويقولون عندك أبناء كثيرين ، فإذا أرسلت لي أحد ابنائك فإنه يستطيع أن يصبح زوجا لي، ولن أقبل أن أتزوج إحدى رعاياي فإنه يستطيع أن يصبح زوجا لي ، ولن أقبل أن أتزوج إحدى رعاياي فإن ذلك شيء أمقته " .اندهش الملك شوبليوليوما ان يكون هذا الأمر خدعة منصبة ضده فأرسل رسولا خاص إلى بلاط الملك المصري و عاد معه برسالة من الملكة قالت " لماذا تقول إنهم يريدون خديعتي ؟ فإذا كان لي ابن فهل كان في وسعي أن اكتب إلى أجنبي كاشفة عن مصيبتي مصيبة بلادي ؟ إنك اهنتني بقولك هذا ... "[2].

احتجت أرملة الملك على إساءة الظن بها وأخيرا قرر الملك الحيثي إرسال الأمير الصغير[3]. وطلبت الملكة ذلك الزواج (لأن قانون وراثة العرش في مصر كان يبيح لمن يتزوج ابنة الملك أن يرقى إلى وراثة العرش)، والظاهر أنها تقصد من وراء ذلك الزواج نكاية في الكاهن " آي " الذي وجد من ضعف الملك سمنخ كارع وتوت عنخ آمون سببا للتدخل في شؤون الملك [4].

1- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص ص 224- 225 .

2- احمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص262 .

3-سير آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ص 267 - 268 .

4-محمد صابر : مصر تحت ظلال الفراعنة ، (د ط) ، (د ن) ، القاهرة ، 1997 ، ص211 .

غير أن الأمير الحيثي لم يقدر له الوصول إلى أرض مصر اغتيل في طريقه من طرف الجيش المصر بتدبير من القائد العسكري حور محب وكان لمقتل الامير الحيثي أثره في نفس والده شوبليوليوما فتحركت وحدات الجيش الحيثي في حملة إلى العمق[1].

بعد هذه الحملة مباشرة قام شوبليوليوما بإعادة ماتيواز إلى عرش ميتاني لضمان استقرار الامن في بلاد الشام ولمواجهة المد الأشوري الصاعد خاصة بعد تحررها من ربقة الاحتلال الميتاني ، ونقض المعاهدة التي أمضاها مع أرتاتاما الثاني ثم أمر ابنه بياسيل أن يعود من قرقميش وزوده هو وماتيواز الملك الميتاني بجيش عظيم انقضا به على جحافل جيش شوتارنا غربي بلاد نهرينا* واستسلمت واشوكاني العاصمة الميتانية [2]، وعقد شوبليوليوما معاهدة مع ماتيوازا [3] أقسم فيها الأخير و رعاياه يمين الإخلاص أن يكونوا على أهبة الاستعداد للمساعدة ، واتفقا على تعيين الحدود التي تفصل البلدين هي نهر الفرات كحد فاصل بينهما ، وعلى إثر ذلك اعترفت بلاد ميتاني بالتخلي عن سورية [4]. توفي شوبليوليوما حوالي سنة 1346 ق- م متأثرا بخطر الوباء الذي جاء في ركاب الجيوش الحيثية التي عادت من العمق[5].

وتولى من بعده ارنووا نداس المريض الذي أصيب بالوباء ولم يدم حكمه سوى بضعة أشهر و خلفه من بعده أخوه مورشيليش الثاني (1345 – 1315 ق- م) [6].وجه اهتمامه في السنوات العشر الاولى من حكمه نحو إعادة تثبيت قوة الحيثيين خصوصا في آسيا الصغرى ، وتمكن من إعادة إخضاع جماعات كاسكا (القاطنة شمال آسيا الصغرى) وأرزاوا ، و ذهب

1- احمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 506 .

* نهرينا هي تسمية أطلقت على بلاد ميتاني باللغة المصرية القديمة .

2- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص 385 .

3- D.D.luckenbill : " Hittite treaties and letters " the american journal, number3 , university of, Chicago , april 1921 , p 163 .

4- سليم حسن : المرجع السابق ،ج5 ، ص 385.

5- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص507 .

6- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص ص 21- 22 .

بنفسه إلى سورية للقضاء على الثورات هناك واستطاع أن ينظم امبراطوريته وأن يحافظ على حدودها كما كانت على أيام والده فامتدت من لبنان والفرات في الجنوب إلى المرتفعات بونيتي في الشمال ووصلت غربا إلى آسيا الصغرى [1].

عاصر الملك المصري حور محب وهو من الطبقة العسكرية ليست له أي صفة تبوئه العرش غير هذه الصفة وليست له أي صلة بالبيت المالك [2]عرف عن هذين الملكين بميولهما للسلام ، وكانت فرصة لحور محب اتجه لإصلاح أمور مصر الداخلية وأصدر مجموعة من التشريعات التي تضمنت معالجة أحوال مصر المتردية و ذلك للقضاء على الفساد[3]. أحرز العديد من الوظائف والألقاب، خلال فترة حكم توت عنخ آمون ، هذا ما جعله يرتقي في الإمبراطورية لممارسة عدة وظائف سامية [4] .

ودونت قائمة البلاد المغلوبة أثناء حملته على جدران معبد الكرنك ، وتشمل عدة أسماء من بينها اسم بلاد الحيثيين لكن هذا يمكن اعتباره من التقاليد التاريخية التي انتهجها ملوك مصر لإظهار قوتهم وعظمتهم أمام الشعوب الأخرى ، أو ربما تشير هذه القائمة إلى الحروب التي شنها هذا القائد في عهد توت عنخ آمون قبل توليته الحكم [5].

نتج عن إصلاحات الملكين مرشيليش الثاني وحور محب إيجاد حالة من الاستقرار الداخلي في كلتا البلدين فالملك الحيثي بعد وفاة والده ورث امبراطورية وطيدة الدعائم لها مجموعة من الممالك الموالية ، وثبت الأمراء التابعون له في جميع المقاطعات الخاضعة

1- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص ص 507 – 508 .

2- Hall. H .R : the ancient history of the near east ,London ,1952 ,p310 .

3- محمد علي سعد الله : المرجع السابق ، ص277 .

4- سليم حسن : المرجع السابق ،ج5 ، ص436 .

5-سليم حسن : مصر القديمة، ج 6 ، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1992 ، ص32 .

لسلطتهم ، وامتدت حدود امبراطوريته شرقا إلى الحدود الأشورية ، وجنوبا إلى الكرمل والجليل [1]. وبالموازاة مع حور محب هو الآخر نجح في إصلاحات بلاده إلى أن مات و ترك بلاده مطمئنة مستقرة سمحت للملوك من بعده استئناف نشاطه الخارجي وتحقيق عدة انتصارات باهرة ، لذلك عندما ارتقى للعرش ملوك الاسرة التاسعة عشر ، رغب هؤلاء في استعادة سلطانهم المفقود في بلاد الشام (1306- 1200ق- م) مع تعاظم رغبة الحيثيين في الاحتفاظ بنفوذهم في تلك المناطق[2].

بدأت بوادر الصراع تظهر للعيان منذ اعتلاء رمسيس الاول للعرش الأول على الرغم من كبر سنه و لم يدم حكمه سوى عامين وعندما أحس بالعجز أشرك معه ابنه في الحكم (سيتي الأول) ، و وضع تصميماته باستعداداته الحربية لاسترجاع المستعمرات الآسيوية والدليل على ذلك أصلح طريق فلسطين الممتد من حصن ثارو، ورمم القلاع لحراسة آثارها و صهاريج المياه على ذلك الطريق[3]. تمهيدا لشن حملاته على بلاد الشام ، لكن وفاته المفاجئة لم يتم أعماله فأتمها خلفاؤه من بعده .

ولما تولى سيتي الأول الحكم (1304- 1290ق- م) انتقض قبائل بدو الصحاري المجاورة لفلسطين، وزحفوا واستولوا على فلسطين ووصلت أخبارها إلى الملك سيتي الأول، وما جاء في هاته الأخبار " لقد اتحد رؤساء البدو معا وأخذوا يضعون أيديهم على فلسطين ، وهم الآن يفتكون بالناس فصار كل منهم يقتل جاره غير مكترثين لقوانين القصر الملكي "[4].

فتوجه بجيشه ، وزحف على آسيا مبتدئا طريقة ثارو (تل أبو صيفة) إلى بلاد كنعان لمنازلة الشاسو الذين يقطنون الإقليم الواقع بين مصر و كنعان ، ثم الاستيلاء على إقليم " رتنو

1- ل. ديلابورت : بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية و الأشورية) ، تر : محرم كمال ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 ، ص 247 .

2- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص266 .

3- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 273 .

4- المرجع نفسه ، ص 274 .

" العليا وهو إقليم يمتد ما بين جبال الكرمل وأعالي نهر الأردن ، و بدأ لمقاتلة أعدائه من الشاسو(قبائل بدوية في جنوب فلسطين) من بلدة ثارو الواقعة على الحدود الشرقية المصرية [1]. وشتت شملهم ثم بلغ حدود كنعان (وهو اسم أطلقه المصريون على غربي فلسطين وسورية) فاستولى على المدينة المحصنة ، وبعدها زحف شمالا فاستولى على سهل مجدو وعبر نهر الاردن ثم توجه غربا حتى بلغ جنوبي بلاد لبنان فاستولى على مدينة يانوام عندئذ أخضع مدينتي صور وأثو وأصبح ساحل فلسطين آمنا و صار الطريق البحري بين مصر وفلسطين جاهز لإعداد الحملات الحربية في المستقبل [2].

أبدت انتصارات المصريين تخوفا كبيرا لدى الحيثيين وأحس هؤلاء باقتراب الخطر نحوهم، وكان في اعتقاد الفرعون أن ينجز هذه المهمة في السنة الثانية من حكمه ، لكن تعرض البلاد إلى غزوات الليبيين القاطنين غرب مصبات نهر النيل فهاجروا إلى الوجه البحري[3] ، وهددوا حدود الدلتا الغربية عندئذ قام بقمع الليبيين وانتهى الأمر بانتصاره ذهب إلى لإكمال انتصاراته ، وتوطيد سلطته بسورية حتى بلغ أرض الجليل واستولى على مدينة قادش وهي بمثابة فاصل منيع بين شمال فلسطين ، ونهر الأورونط (العاصي) المكون لحدود مملكة الحيثيين الجنوبية ، وأراد سيتي الأول أن يهجم على الحيثيين لكن وجب عليه أن يخضع مملكة آمور ، وزحف شمالا على الحيثيين ، وفي تلك الوقت التحمت جيوش مصر بجيوش خيتا لأول مرة في التاريخ القديم ، على نهر الأورونط فدارت رحى القتال[4] .

و حارب جيوش أعداءه حتى انتصر عليهم ولم يشترك في هذه المعركة جيش الحيثيين الرئيسي لأن سيتي لم يزعزع مركز أعداءه بسورية فبقيت قادش بأيديهم ، و كل ما أحدثه هو إرجاع حدود الحيثيين إلى الشمال ووقف زحفهم وتدخلهم في شؤون فلسطين جنوبا ووصلت

1- سليم حسن : المرجع السابق ، ج 6 ، ص ص33- 34 .

2-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص ص 274 – 275 .

3- المرجع نفسه ، ص275.

4- جيمس هنري بريستد : المرجع السابق ، ص ص 275 – 276 .

حدود مستعمرات مصر الآسيوية إلى حدود فلسطين الشمالية[1]. بما في ذلك مدينة صور وساحل فينيقيا جنوبي نهر الليطاني . إلا أن هذه الفتوحات لم ترجع لمصر إلا ما يقرب ثلث مستعمراتها لكنه لم يستمر في فتوحاته في سورية ، واقتنع وقتئذ بعدم فائدة نضال الحيثيين لشدة رسوخ قدمهم بسورية ، زد على ان الحيثيين احتلوا سورية احتلالا ملكيا ، و حربيا أما الفراعنة ما اعتنوا به هو أخذ الضريبة السنوية منها لذلك فإن الاستعمار المصري لم يقوى على حساب الاستعمار الحيثي القوي ثم إن مملكة الحيثيين أصبحت مكتظة بالسكان فكانوا يهجرون وطنهم نازحين إلى سورية فإن شمال سورية يبقى دائما في حالة حرب مع المصريين لذلك صمم سيتي الأول على إبرام معاهدة ودية مع ملك الحيثيين المدعو مواتللي [2]. وأراد أن يتفرغ في أواخر حكمه للاهتمام بالشؤون الداخلية أو أن كلا من مصر و الدولة الحيثية بدأت تمل الحروب فعقدا معاهدة احترم فيها الطرفين حدود الآخر وساد السلام ، وعاد سيتي الأول إلى مصر قام بالعديد من العديد من الأعمال العمرانية[3].

ولما ارتقى رمسيس الثاني عرش مصر (1290 – 1224 ق – م)، أرسل إليه مواتللي رسالة رسمية مألوفة في مثل هذه المناسبات ، ولكنه لم يكن كما اعتبرته بعض الوثائق من رعايا الفرعون [4]. و بنى عاصمة سياسية جديدة سميت بـ" بر رعمسو " أي دار رعمسيس تقع شرق الدلتا على الفرع التانيسي لدلتا النيل بالقرب من عاصمة الهكسوس القديمة احتلت موقع مناسب يتوسط دولة الرعامسة في مصر والشام [5].

1–محمد أبو المحاسن عصفور : علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم ، (د ط) ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1962 ، ص95 .

2– جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 276 .

3 – محمد أبو المحاسن عصفور : علاقات مصر بالشرق الادنى القديم ، المرجع السابق ، ص 95 .

4– عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 501 .

5–عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 333 .

وبدأ حكمه بمتابعة الانتصارات التي حققها أبوه في فلسطين ثم مدها إلى الشمال في سورية و فينيقيا [1].

اتبع رعمسيس الثاني طريقة تحتمس الثالث في غزو الحيثيين فبدأ أولا بإخضاع الشاطئ البحري ليتخذه قاعدة حربية لحركاته المقبلة ووصل في حملته إلى نهر الكلب ونصب لوحا من الحجر الرملي . وكانت هذه الحملة إنذارا كافيا لمواتللي لحدوث حروب في المستقبل ، فأخذ يجمع قواته و يستعد بكل جهده و يجبر جميع ولاته أن يشتركوا معا في الدفاع عن كيانهم ضد مصر فانظم إليه ملوك نهارينا و أرواد و قرقميش و كنعان و قادش وأوغاريت و حلب و ملوك آسيا الصغرى [2]. بالإضافة إلى ذلك جلب إلى صفه كل الابطال من الأقطار التابعين له منها ارزاوا وحلب وقرقميش (كركميش) و قادش[3]. وجمع حوله اعداد معتبرة من القوات جمعت من ستة عشر مقاطعة ومملكة حليفة وبلغ عدد هذه القوات 2500 عربة قتالية وفرقتان من 18000- 19000 مقاتل على التوالي [4].

وحينها ادرك الملك الحيثي أن الاصطدام المسلح بالقوة المصرية أمر لا مفر منه ، أخذ يحضر للمعركة المرتقبة فنقل مقر قيادته من خاتوشا إلى مدينة داتاشا في جنوب آسيا الصغرى ، و حشد كل طاقاته العسكرية والمادية استعداد للحرب بالمقابل قام رمسيس بخطوات تحضيرية للمعركة ، وأنشأ فرقا عسكرية جديدة خاصة بهذه الحرب و قسم جيشه [5] إلى أربعة فرق : آمون ، رع ، بتاح، وست بأسماء كبار الآلهة [6]. تتكون من رماة الأقواس ، ورجال الرمح ، ويحمل الأولون الأقواس والسهام ويحيط بعربة الفرعون الحرس الملكي و كان مكونا من رجال يدعوهم

1- محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص 225 .

2-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص283 .

3- نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، تر ، ماهر جويجاني ، ط 2 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1993 ، ص 329 .

4- كنت . ا . كتشن : رمسيس الثاني فرعون المجد و الانتصار ، تر، أحمد زهير أمين ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 ، ص85 .

5- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص279 .

6- كنت .ا . كتشن : المرجع السابق ، ص 86 .

المصريين " أشردن "* أو " السردانيين " من المحتمل أن يكونوا من الأقوام التي أتت مصر من جهة البحر ليرتزقوا من الخدمة في الجيش ، وخلف هؤلاء تسير الجند المرتزقة، ويسبق الجميع أثناء الحرب فرق الكشافة يستطلعون الأخبار، و يتجسسون على العدو ويمدون جيوشهم بالأخبار ثم سار الجيش مسافة طويلة مخترقا الصحراء ، ثم أراضي فلسطين عابرا الجبال ، وبدأ الجيش ينحدر إلى وادي الأورونط في اتجاه قادش ، وتسربت الكشافة إلى جميع الجهات ، ومكث الجيش ينتظر قدوم العدو [1].

وفي ربيع سنة 1274 ق- م ساد القلق لدى رمسيس الثاني شرق الدلتا . فأخذت كتائب المشاة تحشد وقوافل العربات تلف وتدور، وفتحت خزائن السلاح على مصرعيها لتتدفق منها السهام و السيوف و الحراب والأقواس ليحصيها الكتبة المتمرسون لتسليمها إلى القواد ، وعلى بعد من الثكنات العسكرية كان الملك يستشير أركان حربه ويضع لمسات لسير الخطة الجديدة، واستقر الرأي على أن يقود الملك بنفسه الجزء الأساسي من الجيش عن طريق البر إلى كنعان ثم اتجه جنوبا نحو سورية حتى يصل إلى قادش بينما تسلك القوات المساعدة طريق الساحل الفينيقي ، ثم تنحرف للداخل شرقا لتلتحم بالقوات الرئيسية بقيادة الفرعون في قادش على أن يكون وصولها في نفس اليوم الذي تصل فيه القوات الأساسية [2].

وسار رمسيس على رأس جيشه رفقة أحد الوزراء وبعض أولاده الصغار، وفي خط سيره مر بغزة ثم عبر كنعان ثم صعد في طريق الجليل و صعد إلى الممرات التي تخترق وادي البقاع العريض المرتفع بين سلسلة الجبال التي تفصل بين لبنان والأراضي غير اللبنانية ، وتقدمت القوات بثبات في وادي البقاع العريض وصل رمسيس إلى مدينة رمسيس التي تقع في وادي الأرز (ربما يقصد بها كوفيدي ، وهي قريبة من عاصمة أوبس الإدارية) .

* أرشردن : وهم السردنيين الذين انخرطوا كجنود مرتزقة في الجيش المصري ، استعملوا للمحافظة على النظام في سورية القديمة. انظر جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 284 .

1- جيمس بيكي : المرجع السابق ، ص ص 23 - 24 .

2-كنت .ا. كتشن : المرجع السابق ، ص 85 .

وصلت الجيوش المصرية أواخر مايو 1278 ق- م إلى مدينة قادش (انظر الشكل 4)، فسار بجيشه نحو الشمال ، تتبعه أولى فرق الجيش ، فرقة آمون أما الفرق الثلاث الأخرى فكانت منتشرة على بعد عدة أميال من المقدمة[1].

ولما طلع اليوم الموالي حل رمسيس بخيامه، وزحف في مقدمة فيلق آمون ، وتتبعه الفيالق الأخرى وانحدر بقواته نحو فرع نهر الأورونط قرب مدينة شابتونا ، وعبرت الجيوش نهر الأورونط إلى الغرب متجهة نحو قادش و، بهذه الطريقة تمكن من عبور النهر وظل ينتظر للاستخبار عن مركز عدوه ، عند ذلك ظهر بدويان (جاسوسان) قائلين : إن ملك الحيثيين انسحب بقواته شمالا إلى اقليم حلب شمال تونيب (بعلبك) ، فصدق رمسيس هذه القصة لانطباقها عن عدم عثور طلائع المصريين عن موقع الحيثيين حينئذ عبر النهر مصحوبا بفيالق آمون و زحف شمالا متبوعا بفيالق رع وبتاح راغبا في حصار قادش فأسرع رفقة حرسه الخاص غير مسبوق بعجلة واحدة تاركا خلفه فيلق آمون يتبعه فبلغ قادش ، وكان الملك الحيثي حاشدا بجيشه في الشمال الغربي لقادش ، وأصبح مركز رمسيس حرجا للغاية لتفرق فيالقه على مسافة من (8 – 10 أميال) من الطريق عندئذ تفطن رمسيس لخدعة البدويان فأعد العدة لاغتنام الفرصة فلم يهجم على رمسيس حالا بل سحب قواته [2]إلى شرق الأورونط .

ولكن رمسيس سار شمالا غرب قادش ، وحينئذ أخذ مواتللي ينسحب جنوبا شرق مدينة " خلسة " جاعلا المدينة فاصلا بينه، وبين رمسيس كي لا يراه في هذا الوقت العصيب كانت القوات المصرية مجزأة إلى جزأين جزء قريب من قادش يضم فيلقي آمون و رع ، وجزء آخر مؤلف من بتاح ، وسوتخ جنوبي قادش[3]. ولما علو رمسيس بموقع العدو أسرع على رأس جيش آمون للالتحاق به دون التحاق باقي الجيوش فعبر نهر العاصي وعسكر مع حرسه الخاص

1-كنت .ا. كتشن : المرجع السابق ، ص 86 .

2- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 286 .

3- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 286.

وجيش آمون في الشمال غرب قادش و لم يكن يعلم أن الملك الحيثي وجيوشه كانوا خلف التلال في الجهة الشمالية الشرقية وقاموا بحركة التفاف حتى وصلوا إلى الجنوب ،(انظر الشكل 5) .

وما إن بدأ الجيش الثاني (جيش رع) بعبور نهر العاصي حتى انقضوا عليه وفرقوا شمله ، وكان لهذا الهجوم أثره في تفتيت الجيشين رع وآمون، وتكمن رمسيس بفضل شجاعته أن يجمع أفراد جيشه ، وأن يفتح ثغرة بين جيوش العدو ونجا رمسيس بجيشه وفي نفس الوقت وصلت قوة عسكرية من الشباب وانضمت لرمسيس الثاني فتغير سير المعركة لصالح الفرعون بسبب انشغال جنود الحيثيين بنهب المعسكرات المصرية [1].

فشتتهم وشدد هجومه فلم يجد الأعداء أمامهم غير النهر فألقوا أنفسهم إليه وغرق بعضهم فيه ، وكان منهم أمير حلب وظلت هذه اللحظات مثال فخر كبير ردده رمسيس مرارا، وتتابعت جيوش رمسيس[2] نحوه وبه ثبط هجوم رمسيس الثاني الشديد بجهة الأورونط من عزيمة الحيثيين وقلل من همتهم وكانت الفرصة سانحة منحته مدة كافية ، وأخذت بعد ذلك وحدات آمون تعود إلى معسكرها وتنضم إلى فرقة الإمدادات .

فقل بذلك خطر مركز رمسيس الحربي ، وبقي الفرعون ينتظر فيلق بتاح ، دافع المصريين عن أنفسهم دفاع الأبطال، وبالرغم من هجوم رمسيس على أعدائه ست مرات فإن الملك الحيثي لم يرسل جنده المشاة الثمانية آلاف الذين كانوا معه على شاطئ النهر الشرقي ، ولذلك لم يحارب من الحيثيين إلا قسم العجلات الحربية ، دامت مقاومة رمسيس حوالي ثلاث ساعات ، وعند غروب الشمس لاحت في أفق السماء رؤوس حراب فيلق بتاح فوقع الحيثيون بين قوتين مصريتين، وبحكم مركزهم اضطروا أن ينسحبوا إلى قادش بعدما تكبدوا خسائر

1- سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ط1 ، دار العربي ، القاهرة ، 2000 ، ص456 .

2- عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 337 .

جسيمة ، وبهذا تخلص رمسيس من ورطـة حقيقية وضـع فيها نفسه و جيشه وتعتبر النجاة من هذه الورطة أكبر نصر محقق [1].

وأحست القوة المهاجمـة بـالخطر الـذي يهـددها وخشـيت مغبـة حصـارها والقضـاء عليهـا فتقهقرت ، ولكن بثبات نحو الجنوب مبتعدة عن المصريين حتى تعيد تنظيم صفوفها لتعيد الكرة من جديد ، فتقضـي علـى الهجوم المضـاد للمصـريين قبل أن يستفحل أمره لكنهم لم يفلحوا فـي ذلك لأن رمسيس الثاني لم يمنحهم الفرصـة ، وانقض عليهم فبدأ القتال يحتدم بين الطرفين وضغط المصريون على عربات العدو فدفعوها للخف جنوبا ثم شرقا حتى بلغوا شاطئ النهر من حيث أتوا و لم تفلح موجة العربات في انقاذ الموقف بل تورطت في الارتباك الذي حدث في صفوف العربات الحيثية .

في ذلك الوقت كان امبراطور الحيثيين الحذر مواتللي مستعدا بمساعدة قواته المعبأة ظنا منه بأن عرباته قد نفذت ما عهد إليه لكن عربته بدأت بالفرار وهي تتجه نحو النهر وفي أعقابها القوات المصرية تطاردها و بذلك تشتت جمعهم في الماء سابحين إلى الضفة اليمنى طالبا للنجاة فمنهم من غرق مثل أمير حلب [2].

وبعد عبور آخر فلول الحيثيين إلى الضفة الأخرى بدأت العربات المصرية في الانتشار لحراسة البر الغربي، وأصبح رمسيس هو المسيطر على الموقف ، وبعد الغروب حضرت فرقة ست ذهب المصريون إلى معسكرهم أما بالقرب من النهر فكان معسكر الحيثيين يعج بالنشاط وبهذا تدارك المصريون الخلل ، وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي اعتقد رمسيس الثاني أنه يستطيع أخذ زمام المبادرة فعبأ قوته ، و أخذ يهاجم الحيثيين بعنف لكن الحيثيين بحكم التفوق العددي و حسن التنظيم لذلك وجد كل من الفريقين نفسه في وضع محرج فلم يستطع

1-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 289 .

2- بكر محمد إبراهيم : موسوعة تاريخ الفراعنة ، ج2 ، ط1 ، مركز الراية ، (د م ن) ، 2004 ، ص ص67 -68 .

الحيثيون رد المصريين على أعقابهم [1]. فانفصل الجيشان وأوقفا القتال ، وكان مواتللي يرى أن أفضل سياسة بالنسبة لبلده هي الطرق الدبلوماسية التي كانت خير وسيلة لحل العقدة فبادر بإرسال وفد للفرعون حاملا معه مقترحات الصلح أما الجانب المصري بعد استشارة رمسيس لمستشاريه أقر هؤلاء بتوقيف الصدام مع الحيثيين رغم افلات قادش و بلاد أمورو من أيدي المصريين [2].

لذلك عزم رمسيس على حل المشكلة بصورة مؤقتة محتفظا لنفسه بحق العودة عندما يتيسر له الحال مستقبلا، ورفض توقيع أية معاهدة بشأن قادش وأمورو ، وأمر جيشه بحزم متاعه والتحرك إلى أرض الوطن[3].

تركت المعركة آثارا غريبة في سياسات الحروب في العصور القديمة، وهو ظهور استخدام الجواسيس العسكرية في الحرب [4]. حينها أدرك الحيثيون لما الجاسوسية من أهمية كبيرة في نقل المعلومات الدقيقة بانتظام عن أوضاع العدو العسكرية والقتالية، وبالتالي إيصال الأخبار الملفقة عن أوضاع الجيش الحيثي إلى العدو ، مما لا شك فيه وجد رمسيس نفسه في منطقة أكثر أمرائها وسكانها من مؤيدي الحيثيين لذالك قال : انظروا هذا الأسلوب الذي أتى به قادة العسكر، و الحكام الذين تخضع لهم بلدان فرعون كان هؤلاء يؤكدون له يوميا نبأ وجود القوات الحيثية في حلب المتواجدة على بعد 200 كلم إلى الشمال من قادش .

بالرغم من كثرة عدد أفراد الجيش الحيثي ، وانتشارهم في المنطقة فقد بقي معسكره مجهولا لدى رمسيس بدليل أن السكان لم يسربوا أخبار عن موقع المعسكر الحيثي ، إلى قادة

1- بكر محمد إبراهيم : المرجع السابق ، ص ص68- 70 .

2-كنت .ا. كتشن : المرجع السابق ، ص ص92- 93 .

3- محمد شفيق دربال و آخرون : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني) ، ج1 ، (د ط) ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، (د س ن) ، ص 200 .

4- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 284.

الفرعون فهو في عزلة تامة في بقاع اعتبرها أرضه [1]. كما أن انتهاء المعركة لم يحسم فيها النصر لصالح إحدى الطرفين لكن أدلة تثبت أن رمسيس أنقذ نفسه وجيشه من هزيمته بجيش العدو، غير أن إنقاذ حياته يبقى انجازا فرديا اتجاه هزيمته النكراء لعدم درايته بأمور القتال، وخاصة استخدام الجاسوسية عن العدو التي أصبحت تشكل أهم العوامل الحاسمة في انتصار الجيوش في العصور القديمة .

وهناك دليل آخر على انتصار الحيثيين وهو عزل الملك المدعو " بنتشينا " أحد ملوك الدويلات السورية المتحالفة مع المصريين عن عرشه بعد معركة قادش، ونصب عوضا عنه مؤيدا للحيثيين ، وكان رمسيس هو المنتصر حقا لبقي بنتشينا على عرشه ، وما يؤكد ذلك استعادة الحيثيين سيطرتهم على مقاطعة عمورو[2] التي كانت خاضعة للنفوذ المصري.

وما إن وصل رمسيس إلى أرض مصر تغيرت المعطيات في الشمال فقد حقق مواتللي هدفه السياسي رد قادش و أمورو إلى حظيرة الحيثيين واتجه بجيشه جنوبا بدلا من العودة إلى الشمال فعبر وادي بيكا ، وهدد المركز المصري ثم اتجه شرقا متجها نحو جبال لبنان لاحتلال دمشق ومستعمرة أوبي المصرية ، ولكن نجاح الحيثيين في هذه الجبهة جاءت مقابل خسائر مؤثرة على جبهة أخرى[3]. ففي غمرة أحداث قادش الدموية ، تحالفت مع مواتللي وأصابتها بعض الخسائر فزحف الأشوريين غربا و قهروا الملك واساشاتا وضموا هانيجالبات إلى الأملاك الأشورية التي امتدت بذلك حتى منعطف نهر الفرات الغربي.

وفي أعقاب المعركة وفي نشوة النصر كتب أدد نيراري إلى مواتللي رسالة ادعى لنفسه بحق الغزو، ولقب نفسه بـ " الملك العظيم " [4]، وعرض على الإمبراطور أخوته أو الدخول معه

1- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ص 284 – 285 .

2- المرجع نفسه ، ص 285 .

3- كنت . ا. كتشن : المرجع السابق ، ص 94 .

4- بكر محمد إبراهيم : موسوعة تاريخ الفراعنة ، المرجع السابق ، ص ص72 – 73 .

في حلف ، وفي حالة رفضه فسوف يقتحم سورية وصولا إلى جبال الأمانوس ، وظلت أشور تهدد سورية شرقا بعد ضعف الدولة الميتانية . ولم تمض ثلاث سنوات حتى بلغ رمسيس الثاني حدود مستعمراته الآسيوية حتى كرر زحفه على وادي الأورونط ، وطرد الحيثيين منه فحاربت قواته شمالي قادش، واستولى على هذه المدينة ، و بعد ذلك زحف على تونيب في بلاد نهارينا التي لبثت مدة طويلة منشقة عن الحكم المصري لكن أهلها رضوا بالبقاء تحت حكم رمسيس الثاني، إلا أنه لم يستتب الوضع بعد حتى نشبت نار الفتنة بسرعة فاضطر رمسيس للتوجه إلى تونيب لطرد الحيثيين منها ، ويستدل من قائمة البلاد التي أخضعها أنه استولى على بلاد نهارينا وشمالي سورية (الرتنو السفلى)، وأرواد وسكان قطنة (حمص) التي بوادي الأورونط أثبتت هذه النتيجة مهارة رمسيس الحربية والسياسية لأنه قوض مملكة الحيثيين في سورية [1].

وفي غضون زحف رمسيس الثاني على أورشليم، وأريحا واجتاح مؤاب* من ناحية الشمال واستولى على ديبون ثم التقى بقوات " آمون " وزحف الجيشان معا إلى حاصبيا ودمشق عبر أراضي " عمون " واستوليا على كوميدو ، وهكذا سيطر المصريون من جديد على إقليم أبا ثم أقاموا في العام 9/8 بتدعيم مراكزهم فجردوا حملة جديدة إلى بلاد الشام فعبروا جبال الجليل، واحتلوا عكا ثم زحفوا في اتجاه الشمال بمحاذات الساحل ، واستولوا على صور وصيدا وبيبلوس وسميرا إلى الشمال من نهر الكلب ، ووصلوا أخيرا إلى تونيب التي لم نشاهد مصريا واحدا منذ نيف ومائة وعشرين سنة . واستطاع رمسيس الثاني أن يعزل قادش وأمورو عن الشمال مستغلا المشكلات المتزايدة التي أحدقت بالحيثيين ، ودفعتهم إلى التقهقر في سورية واستعاد "بنتشينا " سلطانه بفضل التقدم الذي أحرزته القوات المصرية [2].

1-جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر، المرجع السابق ، ص 292 .

* مؤاب : مقاطعة تقع في سهل مرتفع في شرقي البحر المتوسط تحدها من الغرب سلسلة من الجبال ، تعتبر من أبرز المواقع التي استقر بها قوم لوط عليه السلام .انظر أحمد سوسة : العرب و اليهود في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 498 .

2 – نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ص333 – 334 .

ثابر رمسيس الثاني على حروب آسيا حوالي خمسة عشرة سنة وفي هذه الظروف شهدت العلاقات المصرية الحيثية تحولا واسع في تاريخ الشرق القديم وتقاليده في هذه أحاطت بدولة الحيثيين هزات داخلية ، وخارجية عنيفة ففي الداخل توفي مواتللي عدو رمسيس اللدود وتنازع ولي عهده مع عمه على ولاية العرش والتمس ولي العهد طلب المساعدة من رمسيس ويحتمل أنه وعده بها ، واستطاع العم خاتوشيلي أن يتغلب على ابن أخيه لأنه يدرك أن مصر ستظل ملاذا لخصومه على عرشه فاعتزم أن يسلك معها سياسة جديدة[1] قائمة على الود والتفاهم.

تذكر المصادر المصرية أن الملك الحيثي خاتوشيلي أرسل مبعوثين إلى الملك رمسيس الثاني عرض عليه مشروع معاهدة تحالف بين مصر والحيثيين، فقبلها رمسيس من حيث المبدأ، وبعد عدة مفاوضات وضعت المعاهدة في صيغتها النهائية حيث قام العاهلان المصري والحيثي بالتوقيع عليها حوالي سنة(1270 ق م)[2]، ونقشت نصوصها على جدران معبدي الكرنك والرامسيوم، وفي بوغاز كوي كتبت بالخط المسماري وتقسم المعاهدة إلى خمسة بنود على النحو التالي :[3]

أولا: إعلان ميثاق السلام والإخاء بين مصر والحيثيين وجاء في هذا البند، إن خاتوشيلي ملك الحيثيين العظيم قد تعاهد مع ماعت رع ستبن رع حاكم مصر العظيم على أنه بدء من اليوم يحل السلام والأخوة بيننا إلى الأبد [4].

ثانيا: تأكيد متبادل بشأن عدم الاعتداء من قبل أي الجانبين على آخر ووضع خط حدودي يفصل بين حدود المملكتين .

1- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم (مصر و العراق) ، المرجع السابق ، ص 340 .
2- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق –إيران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 511.
3- عبد العزيز صالح وآخرون : موسوعة مصر عبر العصور، المرجع السابق ، ص 263 .
4- أحمد أمين سليم : تاريخ العراق –إيران – آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص512 .

ثالثا : التحالف المشترك بين البلدين ضد أي عدو يحاول ينازع الحيثيين أو المصريين في ممتلكاتهما ، وضد أي ثورات محلية في كلتا الإمبراطوريتين .

رابعا : تسليم اللاجئين السياسيين إلى بلدهم سواء كانوا من ذوي النفوذ أو الموطنين العاديين ، تشترط المعاهدة حسن معاملة اللاجئين المرحلين لبلادهم [1].

خامسا : و في هذا الجزء من المعاهدة مثل أي وثيقة قانونية قديمة ، شهد على توقيعها ألف معبود من آلهة و آلهات أرض الحيثيين وألف معبود من آلهة وآلهات أرض مصر [2] ، التي تبدأ بآلهة الشمس والصاعقة ثم تنتهي بباقي الآلهة و الآلهات مثل آلهة الجبال والأنهار وأرض مصر وآلهة السماء والأرض[3]. حققت هذه المعاهدة أغراضها فساد السلام بين الدولتين، وتبادلت الرسائل الودية بين الملكين ، وتوثقت الصلات بعد ذلك بزواج سياسي بين الفرعون المصري رمسيس الثاني في العام الرابع والثلاثين من حكمه من ابنة الملك خاتوشيلي[4].

وأضاف النص الحيثي للمعاهدة في نهايته وصول التهاني بعقدها من زوجة رمسيس الثاني ومن أمه وعاد توازن القوى في الشرق القديم إلى الاستقرار، وبقيت أمام الدولة المصرية جهود اخرى تبذلها ضد هجرات شعوب البحر التي زادت أعدادها أما في الناحية الغربية [5].وجهت اهتمامها لحماية حدودها من غارات الليبيين من قبائل؛ المشوش والريبو ووجه رمسيس استعداداته بتقوية سلسلة من الحصون الممتدة على ساحلهم الشمالي الغربي[6].

تولى الحكم من بعد رمسيس مرنبتاح (1224 – 1214 ق– م)، وفي عهده تعرضت دولة الحيثيين إلى متاعب كثيرة فانتشرت المجاعات وعمت الفوضى ، مما اضطر الفرعون أن

1– عبد العزيز صالح و آخرون : موسوعة مصر عبر العصور ، المرجع السابق ، ص 263 .

2– مري مرجريت : مصر و مجدها الغابر ، تر: كمال محرم ، (د ط) ، (د ن) ، (د م ن) ، 1998 ، ص 60 .

3– A. H . sayce : the Hittite the story of a forgotten empire , london ,1954 , p 34.

4–أحمد أمين سليم : تاريخ العراق –ايران– آسيا الصغرى ، المرجع السابق ، ص 512 .

5– عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم (مصر و العر اق) ، المرجع السابق ، ص 342 .

6– المرجع نفسه ، ص ص342 – 344 .

يرسل إلى الحيثيين مددا من القمح بعد المجاعات التي حلت بالبلاد، فضلا عن ذلك أن آسيا الصغرى ، وفينيقيا وشمال [1]سورية إنما بدأت تتعرض لهجوم طلائع شعوب البحر، وهناك ما يشير إلى أن الفرعون إنما قد أرسل جنودا لمساعدة أوغاريت (رأس الشمرة) للدفاع عن نفسها ضد شعوب البحر .ظلت مصر أيام رمسيس الثالث (1182 – 1151 ق- م) تحتفظ بإمبراطوريتها الآسيوية كاملة ، وتوجه إليها لإخماد الثورة في أمورو نشبت بسبب تهديد شعوب البحر لشمال سورية و فينيقيا ، وتحركت هجراتهم جنوبا في آسيا الصغرى ناشرة الخراب في الأناضول وسورية وفينيقيا ، ثم اتخذت لها مركزا في أمورو ، وتشير النصوص إلى شعوب البحر قد دمروا مدينة صيدا الساحلية فكان رمسيس الثالث على أهبة الإستعداد فتتبعهم شمالا حتى وصلوا إلى زاهي في لبنان [2]، ودارت بينه وبين شعوب البحر معركة برية في بلاد الأموريين هُزِم على إثرها المهاجمون شر الهزيمة ، وهكذا استطاع رمسيس الثالث الحفاظ على حدود الإمبراطورية المصرية في غرب آسيا التي فقدت في عهد خلفاءه [3].

1-محمد بيومي مهران : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص 226.

2- المرجع نفسه ، ص227 .

3- المرجع نفسه ، ص 228 .

الفصل الرابع

انعكاســـات الصراع

المبحث الاول : انعكاسات سياسية

المبحث الثاني : انعكاسات حضارية أخرى

المبحث الأول : انعكاسات سياسية :

من المسلم به أن كل صراع لابد ان يترك آثار وتختلف هذه الآثار من جانب إلى آخر انعكست سلبا وايجابا في الجانب السياسي فكان حتميا تدهور ممالك ، وانهيارها و ارتقاء ممالك أخرى لتفرض وجودها بأي طريقة كانت بين الامم الاخرى ، ومن بين الدول التي انهارت الدولة الميتانية وظهرت على انقاضها الدولة الاشورية .

أولا : ضعف ونهاية الدولة الميتانية :

رغم القوة السياسية والعسكرية التي تمتعت بها الدولة الميتانية إلا أنها لم تستطع الحفاظ على نفوذها في بلاد الشام [1]، فقد تزامن التوسع الحيثي في سورية مع إحياء المصالح المصرية في نفس المنطقة (بلاد الشام) هذا ما أدى إلى حتمية التصادم في ظل بروز قوة الإمبراطورية المصرية [2]. ليتعاظم نفوذ هذه المملكة تزامنا مع ظروف السلطة الحيثية لذلك استطاع ملوكها أن يوسعوا دائرة نفوذهم السياسية ، والعسكرية حتى شملت بقاعا واسعة من بلاد الشام خارج منطقتها الاصلية فقد بلغت ذروتها حوالي 1450 ق- م خلال عهد الملك شاوشاتار، و امتدت من داراشا في مقاطعة كركوك الحالية شرقا حتى إمارة وموكيش قرب حلب غربا ، وشن هذا الملك حرب خاطفة ضد جيرانه الأشوريين في الشرق لكن المملكة الحيثية استعادت سيطرتها على المناطق الواقعة شمال بلاد الشام وبعض نواحي شمال غرب بلاد ما بين النهرين المتاخمة لأراضيهم [3].

لكن تفوق القوة الحيثية جعلت الدولة الميتانية تسير في طريق الانهيار بسبب حروبها المتكررة ضدها خاصة الحروب التي خاضها شوبليوليوما لإقامة حزام واق يتكون من الدول

---

1 - توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 313 .

2 - Gregory mc mahon: history of the hittite , biblical archaeologist ,university of california, September ,1989 , p 69 .

3- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص313.

التابـعة للمملكـة الحيثيـة لحمايـة أراضـيها أمـام الاطمـاع الاشورية [1]. مـن جـراء الحمـلات التـي وجههـا شـوبليوليوما إلـى بـلاد الشـام أدت إلـى اضـطراب الاوضـاع فـي سـورية عقـب انتصـار الحيثيـين هـذا مـن جهـة ، ومـن جهـة أخـرى و كـان لهـذا الانتصـار أثـره فـي تقلـص سـلطان الميتانيين في سورية ، وما إن أصبحت بعض الولايات السورية موالية للحيثيين ، حتى أصبح لهذا التطور أثره في تعرضهم لانتقام الميتانيين [2]. وبدأت هذه الدويلة تسير في طريق الانهيار حتـى اغتيـل توشـراتا وتمزقـت أسـرته المالكـة وعنـدما انقشـع الغبـار كانـت سـهول أواسـط بـلاد الرافدين بأسرها تشكل فراغا في القوة تحده من الناحية الشمالية الغربية قوة عظمى هي " خاتي " ومن الناحية الشرقية دولة أشور، واستمرت إمارة ميتاني تتشبث بالبقاء التي دب فيها الضعف إلى حد كبير و انحصرت حدودها بين نهري الخابور والفرات ، لكنها كانت خاضعة تماما لـ " خاتي" وفي هذه الاثناء هرب ماتيوازا (ابن توشراتا)وتوجه إلى خاتوشاش بعد فترة عاد إلى الحكم في بلاده في أيدي الحيثيين [3].

كما أن تخلي مصر عن الاهتمام بسياستها الخارجية أثناء حقبة العمارنة من جانب وتزايد قوة الحيثيين من جهة أخرى ، وضع المملكة الميتانية أمام تحديات خطيرة لم تستطع مواجهتها، وقرر شوبليوليوما إنزال الضربات بها لدورها الرئيسي في إثارة الاضطراب في الاقاليم الشامية التابعة للمملكة الحيثية قبل توليته العرش[4]. وليتسنى له مد نفوذه إلى بلاد الشام الذي التي تسيطر ميتاني على قسم من أجزائه الشمالية المتاخمة للحدود الجنوبية لبلاد الحيثيين .

1- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 276 .

2-عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 482 .

خاتي : و هو نفس الإسم الذي سمي به الحيثيون .

3- دونالدريد فورد : اخناتون ذلك الفرعون المارق ، تر: بيومي قنديل ، (د ط) ، دار الوفاء ،مصر ، 2000 ، ص 227 .

4- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص ص 27 -28 .

بدأ شوبلـيوليوما أولـى توجهاتـه هـذه بغزو الأراضـي الميتانيـة الواقعـة شرق الفرات فدخـل العاصمة فدخـل العاصمة (واشوكـاني) واجتاحها ثم زحف إلـى بـلاد الشام عـبر الـفرات[1]. أما حملتـه الثانيـة توجـهت إلـى سـهل العمـق الموالـية لمصـر. وضـمنت لـه إخضـاع أغلـب الأقاليم التابعـة للميتانيين . و كـان لهذه الحملـة أثرها فـي الشرق الادنـى القديم ، وضـعت نهايـة للدولـة الميتانية و انتهت هذه الحملة بتقسيم الأراضي الميتانية بين ألشي (قرص قديما) وأشور فأخذت ألشي الجزء الشمالي الغربي و أشور الجزء الشمالي الشرقي[2] . وتدخلت فيما بعد الدولـة الحيثيـة فـي الصـراع القائم علـى العـرش الميتـاني بعـد مقتل توشراتا ، أدى وقوفهـا إلـى جانـب مـاتيوازا، وتقديمها العون الـلازم لاسـتعادة العـرش الميتـاني إلـى تنـازل الاخيـر لهـا عـن جميـع المنـاطق الواقعة في شمال بلاد الشام ، وعن الاراضي الواقعة على ضفة نهر الفرات حتى جنوب مصب نهر الخابور إلى ما وراء تيرقا [3] .

ثانيا : ظهور الدولة الأشورية :

أهم مـا نتـج عن هذا التنـافس بين القوى الكبرى مـا يكتـسي بالصـبغة السياسية تمثل فـي بروز الاشوريين و إن كان بصورة غير واضحة فبعد ظهور الحوريين في بـلاد الأناضـول وفـي أجزاء من سورية القديمـة وأعـالي مـا بين النهرين ، وشرقي أشور وأقـاموا دولـتهم القويـة وإثر الضـعف الـذي أصـاب الامبراطوريـة الحيثيـة خـلا فترة انقسـاماتها الداخليـة فمدت نفوذها علـى المناطق الواقعة بين بحيرة وان وأواسط الفرات ، ومن جبال زاغـروس في الغرب وحتـى الساحل السوري في الشرق . و كانت أشور من المناطق التي وقعت تحت نفوذها وسيطرتها المباشرة ،

1-جون .ا. هامرتن : المرجع السابق ، ص 25 .

2- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 485.

3- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص385.

غير أن قوة الدولة سرعان ما انتابها الضعف ، وانقسمت إلى دويلتين، الواحدة تسيطر منطقة بحيرة وان ، و الاخرى تسيطر على بلاد أشور وأجزاء من سورية [1] .

واستغلت أشور هذا الضعف واستقلت عن الميتانيين ، وبعد ما تمكنوا من القضاء عليها ضموا أراضيها إلى الدولة الأشورية ، وتم ذلك على يد الملك أشور أوبليط (1365 – 1330 ق- م)وتوسعت أكثر في عهد الملك أدد نيراري الأول (1300 ق- م)، حتى الفرات شمالا إلى كركميش ، وفي زمن شلمنصر الأول (1276 – 1245 ق – م) اتسع نفوذ الدولة الأشورية شرقا في المنطقة الجبلية فضلا عن امتدادها إلى الغرب و الجنوب [2].

قامت الدولة الأشورية من جراء نجاح الحيثيين في ضم الجزء الشمالي من بلاد الشام، فانتهز الملك الأشوري أدد نيراري الأول الفرصة ووضع عينه على أرض " هانيجلبات" الجزء المتبقي من الدولة الميتانية أثناء حكم اخناتون .

كانت هانيجلبات موضع نزاع قديم بين الحيثيين و الأشوريين و في موقعة قادش تحالفت مع مواتللي ، وفي هذا الوقت زحف الحيثيين غربا ،وقهروا الملك واساشاتا وضموا هانيجلبات إلى أملاكهم ، وفي أعقاب الغزوة كتب أدد نيراري إلى مواتللي رسالة ادعى فيها لنفسه بحق الغزو ، ولقب نفسه بالملك العظيم عارضا عليه التحالف معه ،واقتحامه لسوريا في حالة رفضه[3].

وأخذت أشور تقوي تحركاتها على الصعيدين الديبلوماسي ، والتجاري الخارجيين فأقامت علاقات تجارية مع مصر بعد انهيار مملكة الميتانيين التي كانت تسيطر على الطريق التجاري الواصل بين بلاد ما بين النهرين و مصر عبر شمال و أواسط بلاد الشام ، ولإدراك الفرعون

1- محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1990 ، ص ص 343 – 344.
2- أحمد سوسة : تاريخ و حضارة وادي الرافدين ، ج2 ، (د ط) ، (د ن) ، بغداد ، 1986 ، ص93 .
3- بكر محمد إبراهيم : موسوعة تاريخ الفراعنة ، المرجع السابق ، ص ص 73 –74.

خطورة الأشوريين في غرب آسيا الصغرى فتقرب إليها بإرسال الهدايا إلى الملك الأشوري [1]. فلم تكن معركة قادش محصلة غنائم للحيثيين ،بل شكلت تهديدا لسورية من جهة الشرق بعد ضياع الدولة التي كانت حامية لحدودها (دولة هانيجالبات) ، وقام بحكم هانيجالبات ملك جديد شاتيوازا الثاني ،وكان مستعدا للنضال و محالفة الحيثيين ضد أشور لكن ما حدث لم يفلح في تعزية مواتللي عن مصابه بأسره واساشاتا ووقوعه في قبضة الملك الحيثي[2].

أما بالنسبة للحيثيين لم تكن التطورات السياسية الجديدة التي طبعت القرن 13 ق- م في صالحهم كما أن وضعيتهم الجيوسياسية لم تكن متميزة بحيث توفر لهم الأمن والسلم اللازمين فبمجرد أن تمكن الأشوريون من الانتهاء من قهر خصومهم من القوى المناوئة لهم في الشرق الأدنى القديم حولوا وجهتهم نحو منافسيهم إلى الغرب ،واستطاع الملك الأشوري شلمنصر تحقيق انتصار ساحق ضد الحيثيين والحوريين على السواء ، ولم يعد للملك خاتوشيليش دولة تتمتع بالاستقرار والقوة اللازمتين لتبقى مرهوبة الجانب ، ولم تكن في مأمن من تهديدات الأشوريين وهجماتها العسكرية بين الحين والآخر[3] .

كما أن سلوكيات الحيثيين لم توحي بالعدائية اتجاه خصومهم بقدر ما كانت تميل إلى ترجيح الخيار الدبلوماسي، وتفضيل الحكمة في علاقتها مع الاشوريين ، فعند اعتلاء الملك توكلتي نينورتا العرش أرسل إليه الملك تودخالياش الرابع التهاني بمناسبة جلوسه على عرش أشور، غير أن القيادة الأشورية لم ترد عليه بالشكر بل ردت عليه باحتياج المناطق الواقعة إلى الغرب منها مهددة حدود جيرانهم الحيثيين ،وهي إشارة صريحة بأن توكلتي نينورتا لم يرغب في إقامة علاقات ودية خالصة مع جيرانه ، بل كان يميل للمواجهة العسكرية ، كان مستعد

1- توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص 320 .

2- بكر محمد إبراهيم : موسوعة تاريخ الفراعنة ، المرجع السابق ، ص 74 .

3- محمد تكيالين : " سقوط الدولة الحيثية 1200ق- م فشل سياسي أم انهيار بنية بشرية " ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 5 ، الجزائر ، 2009 ، ص ص 109 – 110 .

للمواجهة فعبر الفرات للهجوم على الأراضي الخاتية ، لولا تعقل خاتوشيليش الرابع الذي قبل بإلغاء الاتفاق الموقع بينه وبين الملك العموري بشأن الحصار الاقتصادي ضد بلاد أشور[1] .

ثالثا : استخدام الجنود المرتزقة في الحروب :

مما لا شك فيه تتطلب الحروب الدامية وفرة أعداد كبيرة من الجيوش لإظهار قوتها أمام الأعداء ، وينطبق هذا الوضع على الجيوش المصرية منذ تحرير مصر من عناصر الهكسوس على يد أحمس الأول ، فدعى هذا الوضع إلى قيام جيش ثابت واشتد إقبال المصريين على الانخراط فيه و تذوقوا طعم النصر فسرت فيهم روح حربية مجيدة [2].لذا فقد انكب اهتمامهم بالجيش والاعتناء به إذ نجد مهمة إصلاح الجيش وإعداده من بين النقاط المهمة التي تضمنتها قوانين الفرعون حور محب[3]. وكان هذا الجيش المنظم عهد سيتي الأول مزودا بكل ما يحتاج إليه من زاد و عتاد [4]. وزاد الاهتمام به والاعتماد عليه خلال حقبة العمارنة التي سعت لاستمرار وجوده وتثبيت دعائمه فقد خاضت طبقة العسكريين صراعا طويلا تطورت فيه الأمور حتى وصلت وكما كانت الظروف التاريخية مهيأة تماما أمام هذه الطبقة لكي تلعب الدور التاريخي الكبير في سيرة العسكرية المصرية [5].

ضم الجيش أعداد مختلفة من عدة شعوب أجنبية من ليبيين وسردانيين[6]. ومما يدل على الانخراط الواسع للمرتزقة في صفوف الجيش المصري أن رمسيس الثاني أرسل في إحدى

1- محمد تكيالين : المرجع السابق ، ص 110 .

2- إبراهيم رزقانة و آخرون: المرجع السابق ، ص 193 .

3- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، المرجع السابق ، ص 266 .

4- سير و. م فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، تر: حسن محمد جوهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1975 ، ص318 .

5- أحمد قدري : المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الامبراطورية (1570- 1087 ق - م) ، تر: مختار السويفي ، دار البستاني ، مصر ، 1985 ، ص 159 .

6- سيرو . م. فلندرزبتري : المرجع السابق ، ص 318 .

الحملات فرقة مكونة من خمسة آلاف جندي إلى سيناء لم يكن فيها سوى مقاتل مصري واحد حيث كان أغلبـهم السردانيين ، والليبيين والباقي من الزنوج أدى وجود المرتزقة بهذا العدد الكبير في مصـر إلـى آثار سلبية فبـدأوا يتسلمون مناصـب عالية في الحكومـة المصـرية فعلـى سبيل المثـال أحـد السـوريين المـدعو ابـن عـوزن ارتقـى فـي عهـد مرنبـتـاح إلـى رئـيس شـرطة القصـر الملكي [1].

وعلى صعـيد آخر دفعت أزمـة العمارنـة المصـريين علـى مـا يبدو إلـى التأكيد علـى أهميـة الدور الذي يجب أن يقوم بـه القادة العسكريون ، ليس التصدي للمشاكل الخارجية فحسب بل في إدارة شؤون البلاد في محاولة عودة سريـان الروح العسكرية إلى قلب المجتمع المصري مرة أخـرى . كمـا أن الفرعـون سيتي الأول يعـد مـن طبقـة القـادة العسكريين أيضـا فكـان رئيسـا للرمـاة، وقائد الفيـلق قبل تولـيه العـرش وهو الذي بـدأ الحرب الحقيـقية لاستـعادة إمبراطوريـة جده تحتمـس الثالث في بـلاد الشام ، واستطـاع أن يرد مقدار ثـلث أراضـي هـذه الامبراطوريـة [2].

– أما الدولة الحيثية فهي كذلك اعتمدت على الجنود المرتزقة من الأقاليم التابعة لها في آسيا الصـغرى ، ولكن عدد أولئك المـرتزقة لم يتجاوز أعداد كبيرة مثلما تجاوزت أعدادهم في الجيوش المصرية [3] .

1– جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 302 .

2– المرجع نفسه ، ص 276 .

3– المرجع نفسه ، ص 284 .

المبحث الثاني : انعكاسات حضارية أخرى:

خلف الصراع عدة آثار انعكست على جميع الجوانب الحضارية سنوجزها في النقاط الآتية:

أولاً : الجانب الإقتصادي :

من المؤكد أن تبعية بلاد الشام القديمة بعد فرض السيطرة المصرية عليها عادت عليهم بالكثير من الموارد المالية لما احتوته البلاد من خيرات ، وخاصة كهنة الإلـه آمون الذين كان لهم النصيب الأوفر من هذه الموارد[1] .بحيث كان النصيب الأكبر من الهبات ، والعطايا للإلـه آمون باعتباره مانح النصر للمصريين في عصر الإمبراطورية ، فكانت جميع المعارك تتم باسم آمون وإليه تعود الإنتصارات المحققة [2].

راجت التجارة بين مصر وبلاد الشام رواجا معتبرا ، وكان من أهم المواد التي تحرص مصر على استيرادها حجر اللازورد فاستوردت مصر الأخشاب المأخوذة من أشجار الأرز والصنوبر المستوردتان من بلاد الشام [3]. كما جلب المصريون معهم العديد من المعادن من أبرزها الذهب والفضة والبرونز والنحاس والقصدير سلمت لهم كغنائم تحصلوا عليها بعد انتصارهم في المعارك ، بما فيها قطع أخشاب من فصيلة الصنوبر و كذلك بعض الأواني المعدنية[4] .وكذلك ما استولى عليه الملك سيتي الأول من الغنائم الكبيرة جراء حملته الأولى على بلاد الشام ، وما أقربه رمسيس الثاني على جدران معبد الكرنك من نهب وسلب في مدن الشام الجنوبية بعد القضاء على الثورات التي قامت بها المدن السورية الثائرة بتحريض من

1-عبد المنعم أبوبكر : إخناتون ، (د ط) ، دار القلم ، القاهرة ، 1961 ، ص 60 .

2- إبراهيم رزقانة و آخرون : المرجع السابق ، ص 204 .

3- سيرو.م. فلندرز بتري : المرجع السابق ، ص 280- 281.

4- سليم حسن : المرجع السابق ،ج4 ، ص 428 .

الحيثيين [1].هذا فضلا عن الضرائب التي فرضها الملوك الفراعنة على المدن الشامية المغلوبة كتحميل تحتمس الثالث المدن الفنيقية إعانة الجنود المصريين[2] .من جهة أخرى تأثرت بلاد الشام سلبا باعتبار أن أرضها كانت مسرحا للحروب بين المصريين والحيثيين مما أنزل الخراب والدمار وانعكست على هذه الأمور على الأوضاع الإقتصادية لسكان بلاد الشام [3]، وكذلك الضريبة التي فرضت عليهم لتبرير ولاءهم وإخلاصهم للملوك المصريين ، كما تأثر اقتصاد المملكة الميتانية التي تحالفت مع المصريين تأثرا إيجابيا ،لكن هذا الإزدهار لم يستمر طويلا فأخذ الاقتصاد الميتاني في الانهيار تدريجيا منذ سيطرة شوبليوليوما على الممتلكات الميتانية في بلاد الشام ، وما ترتب عنه من ضعف للمملكة وفقدان نفوذها في الخارج ، ووصلت فيها البلاد الميتانية إلى درجة من العجز اضطر شوبليوليوما ان يرسل إليها كل شيء بمافي ذلك من عمال من رجال إدارته مزودين بالخيل ، والاغنام والانعام ، ومحاولة منه إعادة الحياة إليها من جديد لتكون حاجزا منيعا يحمي بلاده من الخطر الأشوري لتعود المملكة الميتانية الجديدة في نطاق ضيق متمركزا في المنطقة الواقعة شرقي الفرات [4].

وعلى جانب آخر لا ينفي القول بأن الكاشيين استفادوا من التسابق بين مصر والمملكة الحيثية لإقامة أطيب الصلات بممالك الشرق الأدنى القديم ، في ظل التنافس على بلاد الشام ليوطدوا علاقاتهم الاقتصادية بهاتين الدولتين على الرغم من الأخطار التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية فقد سارت في نطاقها المحدود ومن ثم سارت القوافل التجارية الكاشية في مساراتها القديمة مع بلاد الشام ومصر فتنقل ما تجود به بلاد بابل من بضائع وسلع . اكتست العلاقات البابلية بطابع الصداقة خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد [5] . تمخضت عنها

1- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ،ج1 ، ص ص 147 – 148.

2- سليم حسن : المرجع السابق ، ج 4 ، ص 427 .

3- المرجع نفسه ، ص 422- 423 .

4- جون.ا. هامرتن : المرجع السابق ، ص 26 .

5- محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، المرجع السابق ، ص ص 308 – 309 .

مصـاهرة البيتين الحـاكمين مثل مـا حـدث علـى أيـام " كدشمان أنليل الأول " الـذي تـزوج بإبنـة أمنحوتب الثالث غير أن هذا لم يدم طويلا فهناك رسالتان من بورنا بورياش الثانـي (1375 . 1347 ق- م) تشير إلـى نـوع مـن الإضـطراب بـدأ فـي فلسطين فـي عهـد إخناتـون (1367 . 1350 ق ، م) حتـى أن قائـد إحـدى القوافـل البابليـة قـد تعرضـت للنهـب مـرتين مـن الأمـراء الفلسطنيين الخاضعيـن للفرعون فقد أرسل الملك البابلـي إلـى إخنـاتون يطلـب منـه تأديب هؤلاء الأمـراء قائــلا : << كنعان أرضك وملوكها خدمك >> ثم يؤيد طلبه بهدية هي : ثـلاث مينـات من الـلازورد وخمسـة خيـول وخمس عربـات كمـا كـان ملـوك بابل يلحـون فـي طلـب الـذهب من مصر الذي تزخر به أراضيها.[1]

ثانيًا : الجانب الـــديني:

لعل من أبـرز الإنعكاسـات الإيجابيـة التـي خلفهـا التنـافس منهـا مـا انعكس علـى الجانـب العقائدي الفكري مما أدى إلـى انتقالها إلـى معظـم شعوب الشرق الأدنـى القديم وهو مانتج عنه نوع من التقارب الديني بين تلك الشعوب .

كانـت بـلاد الشـام الأكثـر تـأثرا بهذا التمـازج الفكـري الحضـاري ، ويظهـر ذلـك جليـا فـي عبـادة بعض آلهة بلاد الشام عند المصريين ظـل الإلـه " حورون " الذي عـبده المصريين إلـى جانـب أبـي الهول ، وخصـص لـه تحتمسالرابع بعض الضياع فـي السـاحل الكنعـاني لتقرب لـه كقربـان يوميـا ، كمـا ظهـر رمسيس الثـاني فـي إحـدى اللوحـات المكتشفة فـي أفـاريس عاصمــة الهكسوس ، وهو يتعبد لهذا الإلـه[2]، وأدخل الإلـه حورون إلـى معابد مصري في أيام أمنحوتب الثـاني (1450 - 1420 ق- م) ، وتظــهر دلالــة ذلـك فـي إسـم حورمحـب مؤسسـة السلالــة التاسـعة عشــر (1350 ق- م) ويمكن الإستدلال علـى عبادة " عشتار " في منتصف القرن

1- محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، المرجع السابق ، ص ص 310 . 311.

2- سليم حسن : مصر القديمة ، ج1، (د ط) ، مكتبة الاسرة ، مصر ،2000 ، ص 308.

الثالث عشر من إسم أحد أبناء رمسيس الثاني اقترن بإسم " عشتار "، وهو (ميري استروت) أي محبوب عشتار[1] . وفي فترة الفتوحات المصرية العظيمة لبلاد الشام من الطبيعي أن يتأثر المصريون القدماء بعبادة معبودات بلاد الشام، التي تتميز بطابع الحرب والعنف والقوة ، مثل آلهتي الحرب الكنعانيتين " عشتار– عناة "[2]. كما دخلت عبادة الآلهة عشتار إلى مصر في عهد امنحوتب الثاني بوصفها آلهة للحرب فقد شبهت أحد النصوص المصرية قيادة الفرعون تحتمس الرابع لحصانة أثناء قضائه على العدو بقيادة الآلهة عشتار المتميزة بإظهار قوتها في الحرب [3] . وشيد لها معابد من طرف رمسيس الثاني بمقر إقامته الموجود في الدلتا الشرقية مع مجموعة من معابد الأخرى ،وعندما شيد حصنه بين مصر وسورية لم يتركه دون حماية الآلهة فاختار معبودين مصريين هما " آمون "، و"واجبت" ومعبودين آسيويين هما" سوتخ وعشتار".

وفي مدينة منف خصص حي بأكمله يسكنه أهالي صور وهو عبارة عن عالم صغير يضم جميع العقائد المصرية والأجنبية[4] . نتيجة لكثرة العبيد الآسيويين من بلاد الشام وغيرها ومع تزايد أعدادهم خصص لهم حي بمنف تعبد فيه معبوداتهم (الإلخ بعل)، ومنذ ذلك الوقت أخذت تلك المعبودات تندمج تدريجيا ضمن المعبودات المصرية [5]

حظيت المعبودة الكنعانية عنات (أنتات عند المصريين) بمكانة مرموقة إلى جانب الآلهات المصرية الأخرى فهي آلهة حرب وسيدة السماء ، فلم يقتصر رمسيس الثاني على

1– فليب حتي تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ،ج1 ، ص 146 .

2– أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، تر:عبد المنعم أبوبكر ، ط1، مكتبة مدبولي ، مصر ، 1995 ، ص 212 .

3– أدولف إرمان : المرجع السابق ، ص 214 .

4– بيير مونتييه : الحياة اليومية في مصر ، تر :عزيز مرقس منصور، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 ، ص ص 375– 376 .

5– جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 301 .

تسمية خيله باسمها فقط بل سمى إحدى بناته (بنت عنات) أي ابنة عنات [1]. كما عبد المصريون المعبود الكنعاني " رشف " إلـه القوة وسيد السماء وحاكم الأرباب عبد في الدلتا عند حدود مصر الشرقية ، ويصور على شكل رجل محارب [2]، وإقترن المعبود رشف بالإله سوتخ في الدلتا الشرقية لتشابه طبيعتها الحربية ، وهو من المعبودات السورية القديمة ، عرفه المصريون مع دخول الهكسوس ، ويعتبر من الآلهة الحامية [3] .

كما شاعت في مصر القديمة عبادة معبود الكنعانيين الرئيسي(بعل) ارتبط بمختلف مظاهر الطبيعة كالمطرو السحاب والبرق ومختلف أشكال الخصب[4]. تباهى رمسيس الثاني في نقوش انتصاراته عند خروجه لمواجهة الحيثيين ، وكان فخورا أن يقارن نفسه بإلـه الحرب السوري، وشيد له مباني كثيرة مخصصة لعبادته [5].

كما نالت المعبودة الشامية (كدش) مقدار كبيرا من الشهرة في مصر من ألقابه ربة السماء وسيدة الآلهة ، وأدمجت مع الآلهة حتحور[6]. ولها طابع يميز صفات الخير مثل المعبودة المصرية (حتحور) ، ووصفت بأنها ابنة بتاح وحدت مع الآلهات إيزيس وحتحور[7].

صورت على هيئة امرأة برأس لبؤة تقف على عربة تجرها أربعة خيول وتعتبر كربّة للحرب والخيول ، تمثل" عشتار، وعنات " درعي رمسيس الثالث تحميان عربة الملك كما كان

1- علي فهمي خشيم : آلهة مصر العربية ، مج1 ،ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بنغازي ، 1990 ، ص 282 .

2- المرجع نفسه ، ص283 .

3- بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص 376 .

4- خزعل الماجدي : الآلهة الكنعانية ، ط 1 ، دار أزمنة ، الأردن ، 1999 ، ص 76 .

5- علي فهمي خشيم : المرجع السابق ، ص 283 .

كدش : و هي القديسة عثر على نصب مصري تقف فيه قادش على أسد و تمسك بيدها زهرة اللوتس و بالاخرى مجموعة أفاعي تقدمها للإله رشف .انظر خزعل الماجدي : ، الآلهة الكنعانية ، المرجع السابق ، ص 102 .

6- خزعل الماجدي : الدين المصري ، ط 1 ، دار الشروق ، الأردن ، 1999 ، ص 57.

7- المرجع نفسه ، ص 64 .

يدّعـي تحتمس الرابع الفارس القوي مثل عشتار[1]. تمركزت عبادة الآلهة الآسيوية في مصر بالخصوص في منطقة منف ووجدت اسماء شخصية لبعض الأفراد مصاغة من أسماء هذه الآلهة في عهد الدولة الحديثة ففي عهد الأسرة الثامنة عشرخصص لهم حي سمي بـ بحي الحيثيين، وما يثبت تواجد هذه الآلهة الآسيوية في مصر هو ما تأكده بردية تعدد أسماء الآلهة المنفية ذات الأصل المصري، واحتوت بالمثل جنبا إلى جنب معها أسماء " بعلت وقادش وعنات وبعل" ، وربما كانت لها مراكزها الدينية في هذا الحي الذي لم يكن بعيدا عن معبد بتاح ، ووفق هذا الجوار فقد أصبحت عشتار ابنة للإلــه بتاح[2]. أما فيما يخص تواجد الآلهة المصرية في سورية وفلسطين، فليس هناك دلالة على أن رعايا المصريين في بلاد الشام قد أبدوا نفس السلوك إزاء الآلهة المصرية فقد بنيت هناك للآلهة المصرية مثل معبد الإله آمون الذي بناه رمسيس الثالث [3]. أما عن طريقة دفن الموتى فكانوا كثيرا ما يدفنون مع الجثة بعض المستلزمات مثل المصابيح أو الجرار وبعض أواني الطعام والشراب . وهناك تأثير مصري آخر يظهر في عادات الدفن عند الفنيقيين وهو وجود التوابيت ذات الأشكال البشرية [4].

أما بالنسبة للتأثيرات الدينية المتبادلة بين الحيثيين والمصريين فنجدهما عبدا آلهة الحرب " آست " و الإله " كنت " إله الحرب عند الحيثيين إلا أنه لا تتوفر لدينا معلومات تشير لعبادة الحيثيين لأي معبود مصري [5].إلى جانب الإله تيشوب عبدوا عشتار وتسمى شاوشكا . إلا أنه لم تتوفر لدينا ما يشير إلى عبادة الحيثيين لأي معبود مصري، بل إن معظم الآلهة التي عبدوها هي معبودات بلاد الرافدين (سومرية أو أكدية)[6].

1- علي فهمي خشيم : المرجع السابق ، ص 282 .

2- ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، تر: أحمد قدري ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1996 . ص 178 .

3- المرجع نفسه ، ص 181 .

4- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 134 .

5- خزعل الماجدي : الدين المصري ، المرجع السابق ، ص 57 .

6- رمضان عبده على : المرجع السابق ، ص 44 .

غير أن ذلك لا ينفي القول أن كل من الحيثيين والمصريين كان يحترم معبودات الآخر، والدليل على ذلك عند التوقيع على معاهدة قادش بين الملك الحيثي ، والفرعون المصري رمسيس الثاني أشهدوا على توقيعها عدد من الآلهة المصرية ، وعدد من الآلهة الحيثية[1].

ثالثًا : الجانب الإجتماعي : يمكن أن نلتمس آثار هذا الصراع في الجانب الإجتماعي من عدة زوايا أبرزها التغير الواضح في التركيبة الديمغرافية للمجتمع سواء كان في بلاد الشام أو بلاد الحيثيين أو مصر ، ولكن أتى بصورة غامضة من خلال المعاهدة التي أمضيت بين تحتمس الثالث ، والحيثيين وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى عهد امنحوتب الثالث ومضمونها الموافقة على ترحيل عدد من سكان مدينة كوروشتاما إلى داخل المناطق الخاضعة للنفوذ المصري ليصبحوا رعايا لدى فرعون مصر[2]. جاهدين على صبغ سكان بلاد الشام بالصبغة الحيثية ، وهذا ما شكل عائقا أمام الفرعون سيتي الأول ومن بعده رمسيس الثاني لإحكام قبضته مجددا على المناطق الشمالية من بلاد الشام إبان الحروب التي خاضها ضد الحيثيين[3]. تعتبر من بين السياسات التي تعامل بها الحيثيون مع المدن الرافضة للخضوع لسلطتهم، ومن جهة أخرى ظهرت بعض الشعوب الناشئة والطامحة لاثبات وجودها مثل الآراميين فقد استغل هؤلاء الأوضاع التي تتخبط فيها بلاد الشام خلال حقبة العمارنة فاندفعوا من موطنهم في الأجزاء الشمالية من بلاد الشام ، وإستقروا في جهات الفرات الأوسط، وقدر لهم أن يلعب الدور الكبير في سيرورة بعض الأحداث في السياسة الدولية في المنطقة، ومع مجيء هاته العناصر الجديدة إلى بلاد الشام أدى إلى تمازج حضاري بين الآراميين، وسكان

1- عبد العزيز صالح و آخرون : موسوعة تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 263 .

"كوروشتاما " تقع في الجزء الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى .انظر عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 481 .

2- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 481 .

3- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر، المرجع السابق ، ص ص 274 – 275 .

البلاد الأصليين (الأموريين والكنعانيين) نتج عنه تأثر ، وتأثير في الجانب الحضاري بين العناصر الوافدة فيما بينها [1].

أما بالنسبة للتمازج العرقي فنجد الكثير من سكان بلاد الشام هاجر إلى وادي النيل ، ولكن قليل جدا من المصريين من يهاجر إلى سورية القديمة [2].

و بمرور الزمن حدث تداخل بين سكان بلاد الشام الوافدين بالمجتمع المصري مما أدى إلى امتزاج دم جديد بالدم المصري، وأقام لهم الملك امنحوتب الثالث مستعمرة خاصة بهم في مباني معبده في العاصمة طيبة [3]. بالإضافة إلى ذلك سعى ملوك مصر على دوام إقامة علاقات وثيقة بممالك الشرق الأخرى لضمان السلام في المنطقة و للحفاظ على بقاء نفوذهم في بلاد الشام بالوسائل السياسية، فمنذ عهد تحتمس الرابع دفعتهم إلى اللجوء لما يعرف بالزواج الدبلوماسي ، وتعتبر كتقليد جديد في الزواج عند الملوك المصريين حيث لم يسبق لهم أن تزوجوا من نساء غير مصريات مما أدى إلى ازدحام البلاط الملكي بأجناس متعددة من النساء الأجنبيات [4]. كالاميرات اللواتي كن يأتين للزواج من الفراعنة كن يجلبن معهن عددا من الجواري فاقت الثلاثمائة جارية أتت إلى مصر برفقة الأميرة الميتانية " جيلوخيبا "، وكانت من المألوف أن تزوج غالبية تلك الجواري إما برجل مصري من كبار الامراء أو عضو من أعضاء الجيش [5].

1- طه باقر : المرجع السابق ، ص 301 .
2- فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق ،ج1، ص 148 .
3- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص 68 .
4- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات ، المرجع السابق ، ص 63 .
5- أبوبكر عبد المنعم : المرجع السابق ، ص 30 .

هذا فضـلا عن إقبـال اعداد من الفتيـات السوريات إلـى مصـر أكبـر مـن إقبـال الفتيـات المصريات فـي سورية ، فقد دخل منهن عدد كبير إلـى مصر بشكل رهائـن وإماء أو زوجـات عندما كانت الإمبراطورية في ذروة قوتـها [1].

كما دأب أفراد عامـة الشعب المصري على نهج ملوكه في الـزواج من الأجنبيـات ، وفـي اقتناء الأسرى والعبيد الذين ألحقوهم لخدمتهم الشخصية [2].

بطبيعـة الحـال فقد أثر وجود الجاليـات الأجنبيـة الكبيرة فـي مصـر وبـلاد الشـام أثرا كبيرا علـى المجتمـع المصـري ، شـجعت علـى إقبـال المصـريين علـى الملـذات والتمتـع بمبـاهج الحيـاة وأخـذوا فـي التخلـي عـن تقاليـدهم القديمـة، وفقدوا مميـزاتهم كمحـاربين وبـدأت روح التهـاون تـدب فيهم، ولـم يعد أفراد البيت المالك يهتمون بنقاوة الدماء الملكيـة ولا المصـرية، وخيـر مثـال عـن ذلـك، زواج امنحوتـب الثالـث مـن الملكـة " تـي" التـي كانـت مـن عامـة الشـعب ،وكذلك العـرض الذي تقدمت به زوجة الفرعون توت عنخ آمون إلـى ملك الحيثيين شوبليوليوما للزواج من أحد أبنائه[3].

كمـا أثـرت الجاليـة الأجنبيـة بشكل واضـح فـي ظهـور تغيـر فـي الملمـح الخـارجي لسـحنة الإنسان المصري، وبرز هذا التباين بوضوح بين ملامح تحتمس الرابع الدقيقة وأنفه الأقنـى وبين النموذج الذي تمثله سحنة تحتمس الأول بفكه الكثيف وأنفه القصير[4].

1- فليب حتي : ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 147 .

2- محمد أبو المحاسن عصفور : علاقات مصر ، المرجع السابق ، ص 120 .

3- المرجع نفسه ، ص121 .

4- فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المرجع السابق ،ج1، ص 147.

إيل : وهوأسمى إله كنعاني احتل مكانة بين الآلهة الكنعانية ، و يدل اسمه على مفهوم الألوهية بشكل عام ، و بشكل خاص في اللغات السامية ، و كلمة إيل هي أقرب في المعنى لـ (إله) أو (الله) و يوصف هذا الإله بأنه إله السماء ، و أبو الآلهة و البشر .

تـأثر سكان بـلاد الشـام بالأزيـاء المصـرية إلـى درجـة صـوروا معبـوداتهم بأزيـاء مصـرية، ويظهـر ذلـك بوضـوح فـي النقـوش الكنعانيـة لمعبـود " إيـل " وهـو يلـبس تاجـا مشـتقا مـن التـاج المصـري المعـروف بـ " أتيـف " [1] . كمـا بـدأ فـوق رأسـه قـرص الشـمس المجـنح [2].الـذي يكثـر وجـوده فـي الديانـة المصـرية ، و تظهـر المعبـودة الكنعانيـة " عنـات " فـي أغلـب الأحيـان وهـي تضـع تاج فوق رأسها من الطراز المصري .[3]

وعلى جانب آخر فيما يتعلق بهيئة الحيثيين فقد منحت النقوش التي رسمت على جدران الآثـار المصـرية ، بعـض المواصـفات عـن هـؤلاء، وتؤكـد أن الحيثيـين كـانوا يحلقـون لحـاهم ويضـفرون شـعورهم رؤوسـهم ، أمـا آثـارهم فتمثلهم بلحـى كثيفـة ، ويضـعون علـى رؤوسـهم مغفرة طويلة قصيرة الحافة أما لباسهم فهو يوافق برد بلادهم ، تصنع من الصوف الكثيف وهو طويل ضيق يستر الجسم من الكتفين حتى الركبتين[4].

أمـا سكان بـلاد الشـام تظهـر لنـا الرسـوم الجداريـة الموجـودة فـي مصـر مـن أوائـل عصـر الهكسوس نحو(1700 ق- م) أن هؤلاء يرتدون الأثواب الطويلة التي تصل من الكتف حتى الركبـة ، و يظهـر حـاملوا الضـريبة السـوريون علـى قبـور طيبـة التابعـة للسـلالة الثامنـة عشـر ويلتفون بـرداء أبـيض لـه أطـراف حمـراء أو زرقـاء ، أمـا الأسـرة الكنعـانيون تظهـر فـي المبـاني الأثريـة المصـرية يلبسون القميص أو الرداء القصـير و التنـورة، وثيابهـا فوقهـا تتألف من قطعـة قمـاش طويلـة ضـيقة ملفوفـة بشـكل حلزونـي حـول الجسـم، ويجسـد رجـال المصـريون سكان بـلاد الشـام (الكنعـانيين و الآراميين) بأجسـام أثقـل مـن أجسـام المصـريين فـي الغالـب بشـعر طويـل

1- خزعل الماجدي : الآلهة الكنعانية ، المرجع السابق ، ص 65 .

2. michaux colombot daniele : the royal hittite titre my sun and the wingest sun disk , p330 -

3- خزعل الماجدي : الآلهة الكنعانية ، المرجع السابق ، ص 85 .

4- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر، المرجع السابق ، ص ص 251 – 252 .

ولحى كثيفة سوداء ، ويتدلى الشعر من الوراء، أما الكهنة كانوا يحلقون رؤوسهم كما في مصر، أما النساء يخبئن شعورهن تحت براقع وبعد الزواج كن يلبسن قبعات تغطي رؤوسهن تماما[1].

رابعًا : الجانب الثقافي : لقد أثرت العديد من الأحداث التي عرفها الطرفان المتنافسات على بلاد الشام ، و احتلت أحداثها مكانا لها في الأدب المصري القديم ، فقد شغلت معركة قادش الشهيرة اهتمام الكثير من الأدباء المصريين، وورد ذكرها في العديد من النصوص الأدبية، نُظِمت في قصيدة شعرية بأمر من رمسيس وجدت مدونة على لفائف البردي نسبة إلى بنتاؤور عثرعلى عدة نسخ منها مدونة على جدران معابد الكرنك والأقصر وأبيدوس[2].

وعندما تحولت حالة العداء بين المصريين والحيثيين بعد معركة قادش إلى علاقات حلف وصداقة توجت بزواج دبلوماسي بين رمسيس الثاني من ابنة الملك الحيثي ووصف الشعراء الملكيون هذه الإحتفالات في قصائد ، ومما جاء في هذه القصائد أن المعبود بتاح هو الذي وضع هذه الأشعار في مقولة " لقد جعلت مملكة خيتا خاضعة لقصرك ، فحضروا إليك وجلين حاملين هداياهم ، التي غنمها بسراتهم ... لقد أحضرت ملك خيتا الكبيرة في مقدمتهم لأطيب بها قلب سيد القطرين " [3]. برزت قيمة المصورات الفنية بشكل أساسي في عهد الأسرة الثامنة عشر ، من بينها نقوش دونت غلى مقبرة مري رع الثاني (أحد رجال البلاط المصري في عهد اخناتون) تظهر اخناتون جالسا على عرشه مع زوجته ، وامامه وفود بلاد الشام وغيرها من البلاد التابعة لمصر ، وهم يحملون معهم الضريبة تتقدمها بعض الفتيات ثم توضح اللوبيون والحيثيون يحملون معهم هدايا يقدمونها للفرعون المصري [4].

1- فليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين، المرجع السابق ،ج1 ، ص ص 100 – 101 .
2- سير آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ص 288 – 289 .
3- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق، ص 294 .
4- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص ص 328 – 330 .

وفي مقبرة حوى (وزير الفرعون توت عنخ آمون) يوجد منظر يمثل سكان بلاد الشام ، وهم يقدمون الأتاوات للفرعون (توت عنخ آمون) . وهناك رسوم على جدران معبد الكرنك يظهرفيه حور محب يستعرض ثلاث صفوف من أسرى بلاد الشام مقدما إياهم للآلهة (آمون ، موت ، خنسو)[1] .

ومن أبرز المؤثرات التي خلفها التنافس ذلك التواصل الثقافي بين بلدان الشرق الأنى القديم من جهة، وبين الممالك المنافسة من جهة أخرى ، وبرز هذا التأثير بشكل واضح من خلال ادخال الكلمات والعبارات السامية تندمج في اللغة المصرية ، وقد عثر على كثير من هذه الكلمات في أوراق البردي التابعة للأسرة التاسعة عشر، وبلغ استعمال هذه الكلمات الغريبة عن الهيروغليفية المصرية في القصر الملكي فسمى رمسيس معبوده (بنت أنات)أي ابنة أنات وهي معبودة سورية كما سميت الخيل الفرعونية " أنات حرت " ومعناه (أنات المستطيبة)[2].

كما وجدت تأثيرات مصرية على الكتابة الأبجدية الفينيقية كما هو الحال بالنسبة للحروف الدالة على الألف والباء والميم والتاء [3].

ولم يقتصر التأثير عند هذا الحد بل أن المصريين تأثروا في فن البناء بالطابع السوري ، فقد عرف المصريون نوعا آخر من الحصون في أثناء غاراتهم التي شنوها في عهد الأسرة الثامنة عشر، وما بعدها على القبائل الآسيوية فقد رأى البدو في الشام يتحصنون في حصون ذات شكل يختلف عما ألفوه في مصر، وأدركوا فائدتها ومناعتها[4] وفي إغارتهم فنقلوا عن المدن الكنعانية والحيثية أمثال عسقلان ودابور أسوارها التي كانت تتخللها أبراج تبنى واجهاتها من

1- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص 602 .

2- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 301 .

3- محمد أبو المحاسن عصفور: المدن الفنيقية ، المرجع السابق ، ص 189 .

4- كمال محرم : تاريخ الفن المصري القديم ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991 ، ص 34 .

الحجر. ومنذ عهد الأسرة التاسعة عشر نجد الجهة الشرقية من الدلتا قد أحاطوها بسور ذي أبراج تمنع غارات القبائل الآسيوية عليها.

ثم اقتبسوا كذلك الاسم الآسيوي (ماجاديلو) لهذه الحصون، وأطلقوا عليها في لغتهم (ماكاتيلو)، واستعملوا في بناء الأسوار الأحجار بدلا من اللبن ، نجد ذلك في هليوبوليس و منفيس [1].

ومن نتيجة اتصال الحضارات نجد أن بناءمعبداخناتونفي مصر كان مكشوفا على غرار الطراز الموجود في بيبلوس [2].

أما في الجانب الحيثي فقد تأثر الفن الفينيقي القديم بوجه عام بفن الشعوب المجاورة، والتي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد وهي تشبه إلى حد كبير قصور الحيثيين في قرقميش بعد استيلائهم على الألخ و بقية الأجزاء الشمالية من بلاد الشام منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد [3].

ومن مظاهر التأثير المصري على الحيثيين استعمال التماثيل عند المدخل الرئيسي في قصر الملك ، واقتبسوا فكرة التماثيل أوصور الحيوانات الحارسة المأخوذة عن المصريين الذين كانوا يصنعون تماثيل أبو الهول ، كما زينوا الجدران بعمل افريز سفلي للحائط يتكون من قطع كبيرة مستوية من الحجر تنحت فيها صور بارزة ، ومن بين الصور البارزة الحيثية قرص الشمس المجنح المصري [4].

1- كمال محرم : المرجع السابق ، ص35 .

2- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 299 .

3- جون . ا . هامرتن : المرجع السابق ، ص 98 .

4- جيمس هنري بريستد : انتصار الحضارة ، المرجع السابق ، ص 252 .

ومن أوجه التأثيرات الفينيقية في الفن الحيثي العثور على حصن حيثي يحيط به سور ذو أحجار ضخمة يتخلله بابان مزخرفان على الطريقة الفينيقية عليه رسوم حروب ، كما عثر على تمثال نصفي ملكي من البازلت عليه كتابة فينيقية ، كما عثر على كتابات أخرى ساعدت على قراءة الكتابة الهيروغليفية الحيثية [1].

أما في الآداب فقد اثرت أحداث معركة قادش في نفوس الشعراء ، بالأخص شاعر الملك رمسيس الثاني، وبدوره سجل هذ الملك انتصاره على الحيثيين على واجهات جدران المعابد منها معبد الأقصر والكرنك ، ومعبد أبيدوس ومعبد الرمسيوم كما رسمت تفاصيلها داخل معبد أبو سمبل الكبير [2].

فقد سجل الشاعر بنتاؤر أخبار معركة قادش في ملحمة شعرية أشاد فيها بشجاعة الملك، وقوته، وبطولته الفذة ثم صبره وحسن بلاءه وقت الشدة ، وكيف أنه اندفع في صفوف العدو حتى إذا ما توسطها، أحاطت به عجلات الحرب يعلوها الرجال ، فأخذ الملك يقاتلهم وحده بكل شجاعة غير مبال بما يحدث له ، وتستمر الملحمة في وصف المعركة وحالة الملك رمسيس الثاني ، وأنه أخذ يستغيث بأبيه " آمون " آمرا إياه وقائلا : " تقدم يا بني فإني معك، فأنا أبوك وأني لأكثر نفعا من فئات الألوف من الرجال، أنا رب النصر الذي يحب الشجاعة"[3].

كما أظهرت الملحمة المبالغة في التقارير الحربية التي ترفع شأن الملوك والحكام وتحث على الوطنية والدفاع عن الوطن ، وتمجد الملك رمسيس الثاني بجعله قدوة و مثالا يحتذى به من قبل الملوك الذين سوف يحكمون من بعده [4].

1- محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الادنى القديم ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 447 .
2- محمد إبراهيم على : الأدب المصري القديم ، (د ط)، (د ن) ، مصر ، 2005 .ص 121 .
3- المرجع نفسه ، ص 121 .
4- المرجع نفسه ، ص 122 .

خامسًا : الجانب الفني والعمراني :

أما منظر الحروب التي خاضها ملوك الإمبراطورية لم تظهر إلا في عهد الفرعون سيتي الأول حيث نقشت على جدران معبد الكرنك ، وتعد من أقدم المواقع الحربية التقليدية التي مثلت أمامنا تمثيلا صادقا [1].فصور الحملة الأولى مثلا فالمتمعن لصور سير سيتي الاول يجدها تتألف من مشاهد حيوية تمثل حوادث هاته الحروب ، وأشكال الحصون التي يقف عندها الفرعون لأخذ المدد والسقاية نظمت صورها تنظيما طبوغرافيا ، وتبرز لنا الأماكن المحصنة التي ظهر فيها سيتي الأول المتواجدة على الطريق من مصر إلى فلسطين[2].

كما توضح لنا صور قطع الأخشاب اللازمة من لبنان لبناء المعابد في مصر ونشاهد فيه الفرعون يصحبه أحد رجال دولته العظام ، ولما اقترب سيتي حين عودته إلى ارض الكنانة ابتهج المصريون بعودته حاملا معه غنائم الحروب وأسلابها [3].

أما في الحملة الثانية فقد فقدت جزء من النقوش معبد الكرنك ما تبقى منها يبرز بوضوح المعركة التي أدت إلى استيلاء المصريين على قادش وهزيمة الحيثيين [4]، واستيلائه على الأسرى والغنائم، وتكدست ساحة القتال بأكوام القتلى والجرحى ومعهم طوائف من الأسرى يساقون إلى مصر ويقدمون قربانا إلى ثالوث آلهة معبد الكرنك (آمون ، موت ، خنسو) [5].

وبمجرد نجات رمسيس نقش موقعته الحربية بنقوش بارزة زاهية على جدران معبد أبي سمبل و الدُّرُوو الرمسيوم والأقصر والكرنك من خلال النصوص المدونة بالخط المسماري، استدل أن النفوذ الحيثي امتد وسيطر على مملكة أمور إلى شمال فلسطين واهتم حفار هذه

1- سليم حسن : المرجع السابق ، ج6 ، ص 30 .
2- المرجع نفسه ، ج6 ، ص ص 35 – 36 .
3- المرجع نفسه ، ج6 ، ص ص 42 – 43 .
4- المرجع نفسه ، ج6 ، ص ص 47 – 48 .
5- المرجع نفسه ، ج6 ، ص ص 54- 55 .

النقـوش برسـم المعسـكر المصـري وهجـوم رمسـيس علـى الحيثيـين جهـة الأورونـط ووصـول الإمدادات المصرية ، وقد أكثر أمام رمسيس من رسم القتلى الحيثيين ، وبعض من أمرائهم وأسرهم الملكية وجنود الحيثيين رافعين شخصا مقلوبا رأسه إلى الاسفل محاولين إخراج الماء من جوفه بعدما ألقاه رمسيس الثاني في الماء[1].

بالاضافة إلى ذلك صور لنا رمسيس الثاني العديد من الصور عن جموع البلاد التي شاركت في معركة قادش ممثلا في سهل آسيا الصغرى و شمال سورية وبلاد النهرين حتى ما وراء قادش، وشنت الحرب ضد مصر كما تمنحنا هذه الصور تعداد جيوش معركة قادش فكان من المشاة الحيثيين المشاركين في موقعة قادش مصنفون على فرقتين : الاولى تضم ثمانية آلاف ، و الاخرى تسعة آلاف مقاتل ، أما عدد عربات القتال التي استعملها الحيثيون حسب الصور المصرية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وكل عربة تحمل ثلاثة مقاتلين [2].

كما توضح جدران الصرح (او البرجان) الخارجية ونقوشها الغارات التي شنها رمسيس الثاني على الحيثيين في سورية في السنة الخامسة من حكمه ، ويوضح البرج الأيمن الملك جالسا على عرشه ، يرأس مجلس الحرب المؤلف من أمرائه أما البرج الأيسر فيبين مشاهد المعركة، وبعيدا عن الصراع ،والحرب وساحة القتال يقف ملك الحيثيين في عربته يحيط به حرسه من كل الجهات [3].وفي أعلى هذه النقوش صور مدينة قادش تحيط بها قلعتها التي تقع بين خندقين من المياه [4].

على الرغم من النتائج الإيجابية المحققة في معركة قادش ، إلا أن ذلك لم يمنع قيام الثورات ضد رمسيس الثاني بتحريض من الحيثيين فاضطر إلى إعادة أملاكه بدءا من

1- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق، ص 290 .
2- سليم حسن : المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 268 – 269 .
3- كمال محرم : المرجع السابق، ص 50 .
4- محمد صابر : المرجع السابق ، ص 184 .

عسقلون، وتفسر لنا النقوش المرسومة على الجدران معبد الكرنك هجوم الفرعون على مدينة عسقلون، وفي هذا المنظر توضحلنا الصورالملك في عربته يهاجم الأسيويين وهم مصطفون فوق شرفات المدينة[1]الواقعةعلى مرتفع من الأرض، ويلاحظ أن سلالم الهجوم قد نصبت وأن ضابطا مصريا يهدم بوابة المدينة ببلطته ، وعلى جدران معبد الرمسيوم صورت تفاصيل حصار المصريين على بلدة دابور ثم الإستيلاء عليها [2]. وتظهر الصور أعداء الفرعون يفرون نحو المدينة بينما يلقى جنود رمسيس سلما متحركا على حوائطها لاقتحام المدينة [3].

بالاضافة إلى ما تقدم من نقوش دونت على جدران المعابد فقد دلتنا الآثار على المعاهدة التي نقشت على لوح فضي، وتشمل ثماني عشرة مادة رسم أعلاها المعبود " سوتخ "، وبجوارها المعبودة عينها محتضنة ملكة الحيثيين " بوتو خيبا " زوج خيتاسار، وبجوار هذه الرسوم وضعت أختام "سوتخ " معبودة الحيثيين ، ورع إرنين و خيتاسار واحتفظ كل من الملكين بنسخة من هذه المعاهدة ، وأمر رمسيس بنقش صورتين من هذه المعاهدة على جدران معبديه بطيبة.[4]

لم يكن الإنقلاب الذي أحدثه اخناتون قاصرا على إحياء عقيدة التوحيد باسم " آتون" بل تخطتها إلى الفن [5]الذي ظهر أثره في الفخار السوري الذي يتميز بالميول إلى الطبيعة، ووجدت نماذج عن الفخار السامي في مصر بدرجة لا بأس بها [6]. وفي مجال الفن فقد احتوت

1- سليم حسن : المرجع السابق ، ج 6 ، ص 280 .
2- المرجع نفسه ، ج6 ، ص281 .
3- محمد صابر : المرجع السابق ، ص 186 .
4- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص ص 292 – 293 .
5- سليم حسن : المرجع السابق ، ج5 ، ص 328 .
6- المرجع نفسه ، ج5 ، ص 344 .

الأختام الفينيقية طابعا مصريا [1]. كما ادعى الملك احيرام على تابوته مناظر تحاكي أسلوب النقوش المصرية [2].

تأثرت الفنون الحيثية بمثيلتها في بلاد الشام ،وأثرت فيها حيث نقل الحيثيون من صور عملية تزيين الجدران بعمل افريز سفلي للحائط يتكون من قطع كبيرة مستوية من الحجر تنحت فيها صور بارزة ، كما نقل الحيثيون رموزا ذات قيم فنية ودينية عن مصر [3] منها ما كشف عنه في أوغاريت مثل لوحة (إله الجو) تبدو عليه الكثير من المؤثرات الحيثية في الزي والسجايا [4].

وفي شمال سورية نجد خليطا من الفنون ولكن لم تستطع الحضارة الحيثية أن تنافس حضارة مابين النهرين في هذا المضمار لذلك تأثرت سورية كثيرا بقطبي الحضارة القديمة مصر الفرعونية ، وبلاد مابين النهرين أكثر من تأثرها بالحضارة الحيثية وذلك لأصالة هاتين وقوتهما باعتبارهم كانتا الأقدم زمنيا والأسبق في الظهور الحضاري[5].

1- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الادنى ، المرجع السابق ، ص 163 .

2- محمد أبو المحاسن عصفور: المدن الفنيقية ، المرجع السابق ، ص 34.

3- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص 252.

4- محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ، ص 152 .

5-عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص 537 .

خاتمة

خـاتـمة

ألقينـا من خـلال هذه الدراسـة الضـوء علـى مرحلـة مـن مراحــل تـاريخ الشـرق الأدنـى القديـم، والتـي كانـت الأكثـر تعقيـدا وتـداخلا فـي أحداثهـا كمـا تعـددت الآراء فـي كـل مراحـل أحداثها، لذا نسعى جاهدين في الوصول إلى الآراء الأكثر شيوعا، والأقرب إلى الحقيقة بحكم أن هذه الفترة الزمنية موغلة في القدم غابت عنها الكتابات ، والوثائـق في كثير من مراحلها بحيث ما جاء به الكتـاب والمؤلفين كـان مستمد من الآثارالمصرية فقط ، كما أن من بين القوى المتصارعة المملكة الحيثية والتي كانت مصادرها قليلة ، ولهذا كانت مختلف المصادر التاريخيـة التـي إعتمـدنا عليهـا فـي دراسـة الموضـوع فـي أغلبهـا كتابـات مـأخوذة مـن الآثـار المصرية المدونة على العديد من الأشكال العمرانية في الآخير توصلنا إلى جملة من النتائج التي يمكن إيجازها في النقاط الآتيـة :

1- نستنتج إلـى أن كل منطقة من المناطق التي كانـت حاضرة في ساحة الصراع (مصر، آسيا الصغرى ، بلاد الشام) اتصفت بخصائص جغرافية مختلفة ، وبما أن الجغرافية دائما توجه التاريخ فقد أثر الموقع الجغرافي في بروز هذا التنافس من خلال ظهور العديد من الأحداث على مدار الحقبة الزمنية التي جرى فيها الصراع على المنطقة .

2- تنوعت الدوافع التي أدت إلى نشوء الصراع الحيثي المصري باختلاف ظروف الأطراف المتصارعة وارتبط الأمر بظروف بلاد الشام بصورة أكثر حجم فكانت في مرحلة ضعف هذا من جهة وبلاد الحيثين من جهة ثانية والأمبراطورية المصرية من وجهة ثالثة ، هذا ما أتاح لكل من القوتين الحيثية والمصرية الفرصة من أجل السيطرة عليها بالإضافة إلى أهمية بلاد الشام بالنسبة لمصر التي كانت تعتبرها خلال مرحلة قوتها كولاية مصرية خاضعة لسلطتها في آسيا الغربية القديمة .أما الحيثيين فيرون بلاد الشام كجزء متمم لبلادهم لذا سعى الملوك إلى التوسع على حساب بلاد الشام ، مما أدى إلى استيلاءها على مناطق شاسعة من شمال تلك البلاد في مطلع القرن السادس عشر قبل الميلاد ، لكن الدولة الحيثية شهدت مرحلة

شاعت فيها الإضطرابات الداخلية بعد مقتل مرشيليش الأول أدى ذلك إلى انحسار نفوذها عن بلاد الشام هذا ما حتم عليهم الصدام مع المصريين ، لأنهم كانوا يعتبرونها البوابة الرئيسية التي تصلهم ببلدان الشرق الأخرى .

3- تمتع بلاد الشام بالعديد من الإيجابيات الإقتصادية جعلت منها مطمعا وجه لها أنظار جميع الغزاة الطامعين ، وعليه فإن العامل الإقتصادي ظل ولا يزال الأبرز، والمحرك الأساسي لمختلف النزاعات عموما وللحيثيين والمصريين بصفة خاصة .

4- تميز الصراع في البداية بمحاولات بعض المدن بانضمام بعضها إلى الحيثيين وبعضها الآخر إلى جانب المصريين أدى ذلك إلى خلق نوع من الفراغ السياسي في بلاد الشام هذاما عجل بتأجيج الصراع .

5- أما المرحلة الثانية ، فكانت مرحلة الصدام العسكري ، ابتدأت بسلسلة من الصدامات الصغيرة في العقد السادس من القرن الرابع عشر قبل الميلاد على إثر اجتياح الحيثيين لبعض المناطق التابعة للمصريين في بلاد الشام ، والتي شهدت فيها البلاد عدة محطات من القتال بين الطرفين المتنافسين ، فكانت معركة قادش أنموجا واضحا دونه لنا التاريخ كدليل عن هذا الصراع الذي استمر وضع البلاد يتغلغل فيه فترة طويلة من الزمن ، فكانت معركة قادش في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد التي توصل الباحثون على أن نهايتها كللت بنصر لصالح الحيثيين على عكس ما أشاعته الروايات المصرية القديمة ، وحاولت التأكيد عليه .

6- انعكس الصراع سلبا وإيجابا وبرز بصورة واضحة في ظهور أمم جديدة تتطلع إلى المجد، والقوة لاطالما انتظرت هذه الفرصة بعد فراغ الساحة السياسية لترتقي وتظهر مستفيدة من تدهور ممالك منحها الزمن مدة من القوة والسيطرة في المنطقة ومن بين هذه الدويلات الدولة الأشورية استغلت تدهور المملكة الحيثية ، وضعف السيطرة المصرية في بلاد الشام ، ولو أن ظهورها لم يكن بصفة مباشرة بعد ضعف الدولة الميتانية هذا الوضع أتاح لها فرصة

السيادة الدولية في المنطقة فيما بعد ، وعلى صعيد آخر انهارت المملكة الميتانية التي دخلت في مرحلة ضعف، وفقدت سيطرتها في إحكام قبضتها على بلاد الشام نتيجة لما عانته من صدام مستمر مع الدولة الحيثية في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، فكانت نهايتها على أيدي الملوك الاشوريين الصاعدين الجدد.

7- خرجت الدولة الحيثية كدولة منتصرة من الصراع بانتزاعها السيادة من المصريين على النصف الشمالي من الأراضي الشامية ، أثر ذلك إيجابيا على صورتها ، ومكانتها الخارجية أمام الأمم الأخرى ، في حين أخذ التأثير الخارجي المصري يضعف بمجرد زوال سيطرتها على مناطق نفوذها في بلاد الشام ، ومن جانب آخر زاد الإعتماد على العناصر الأجنبية في تركيبة الجيوش خاصة في صفوف الجيش المصري، لدرجة أنهم مع مرور الزمن ازداد نفوذهم و فاقت قوتهم قوة الدولة ، وأخذوا يتدخلون في الشؤون السياسية ، وأمور القصر الملكي والحكم ، لكن في الآخير برزت كلا من القوتين بشكل كبير، وأخذ التنافس مظهر التسابق على تولي الزعامة في منطقة الشرق الأدنى القديم لذلك كان الطرفان مجبرين (المصريين والحيثيين) على عقد وتوقيع معاهدة سلام بينهما.

8- في الجانب الحضاري فقد كان التنافس من الأسباب الرئيسية لحدوث التفاعل الحضاري بين أقطار الساحل الشرقي للمتوسط في شتى المجالات (الإقتصاد ، الدين ، المجتمع ، الثقافة ، الفنون ، الآداب).هذا فضلا عن التأثير البارز في هندسة العمران ظهرت جليا في شكل الأبنية الجديدة التي دلت عليها الكثير من الآثار المتمثلة في النقوش ، والرسوم المكتوبة على جدران المعابد المصرية في عهد الدولة الحديثة ، من جانب آخر لم يخلو من التأثير السلبي. في ما يتعلق بالنشاط الإقتصادي تمثل في الإضرار التي لحقت بالنشاط التجاري المتبادل بين بلدان الشرق الأدنى القديم ، وعملية التهجير القسري التي تعرض لها بعض سكان مناطق الشرق القديم .

الملحق

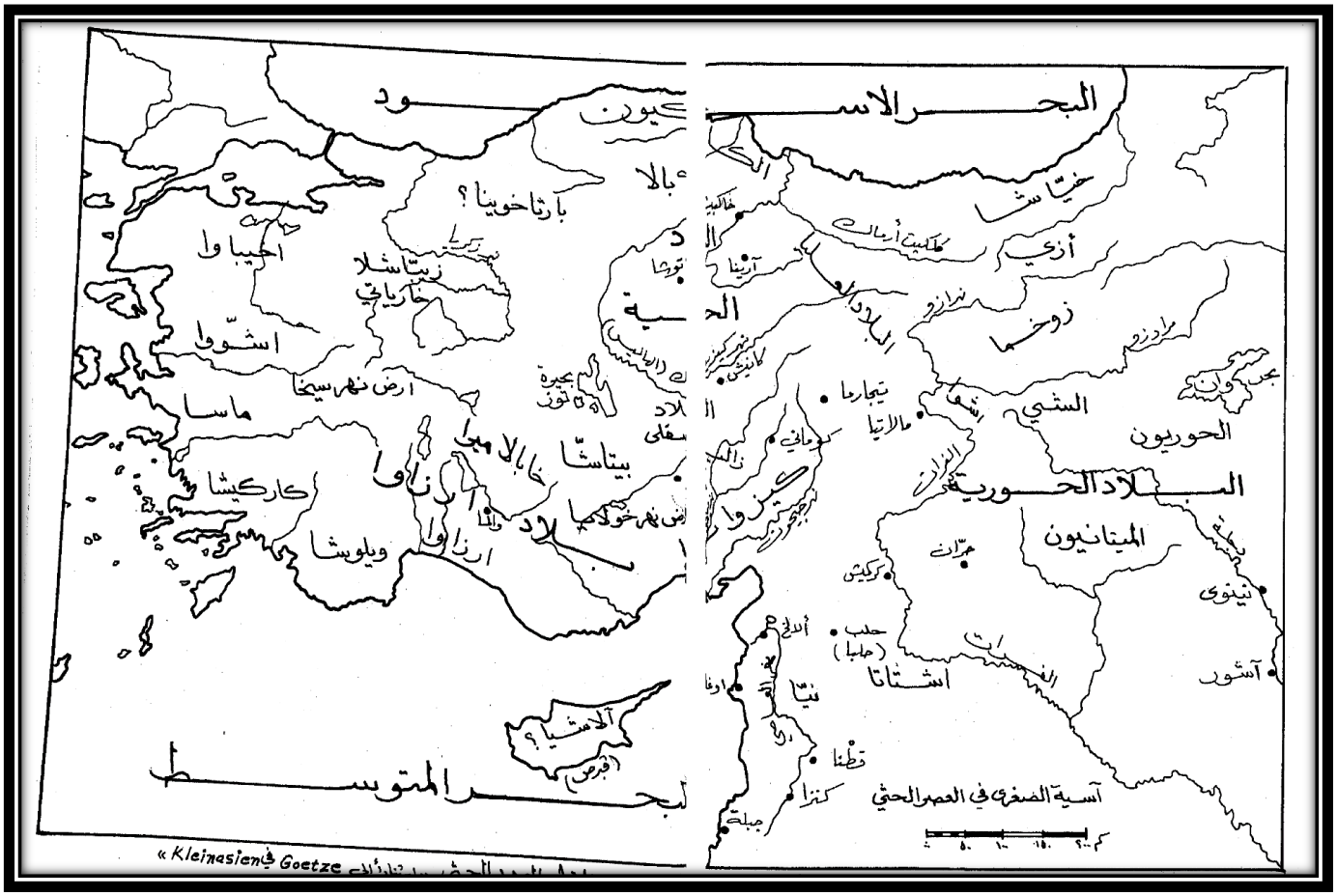

الشكل رقم (1) :

خريطة توضح أهم المواقع الجغرافية في آسيا الصغرى في العهد الحيثي[1]

1 – توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ط1 ، دار دمشق، دمشق، 1985، ص451 .

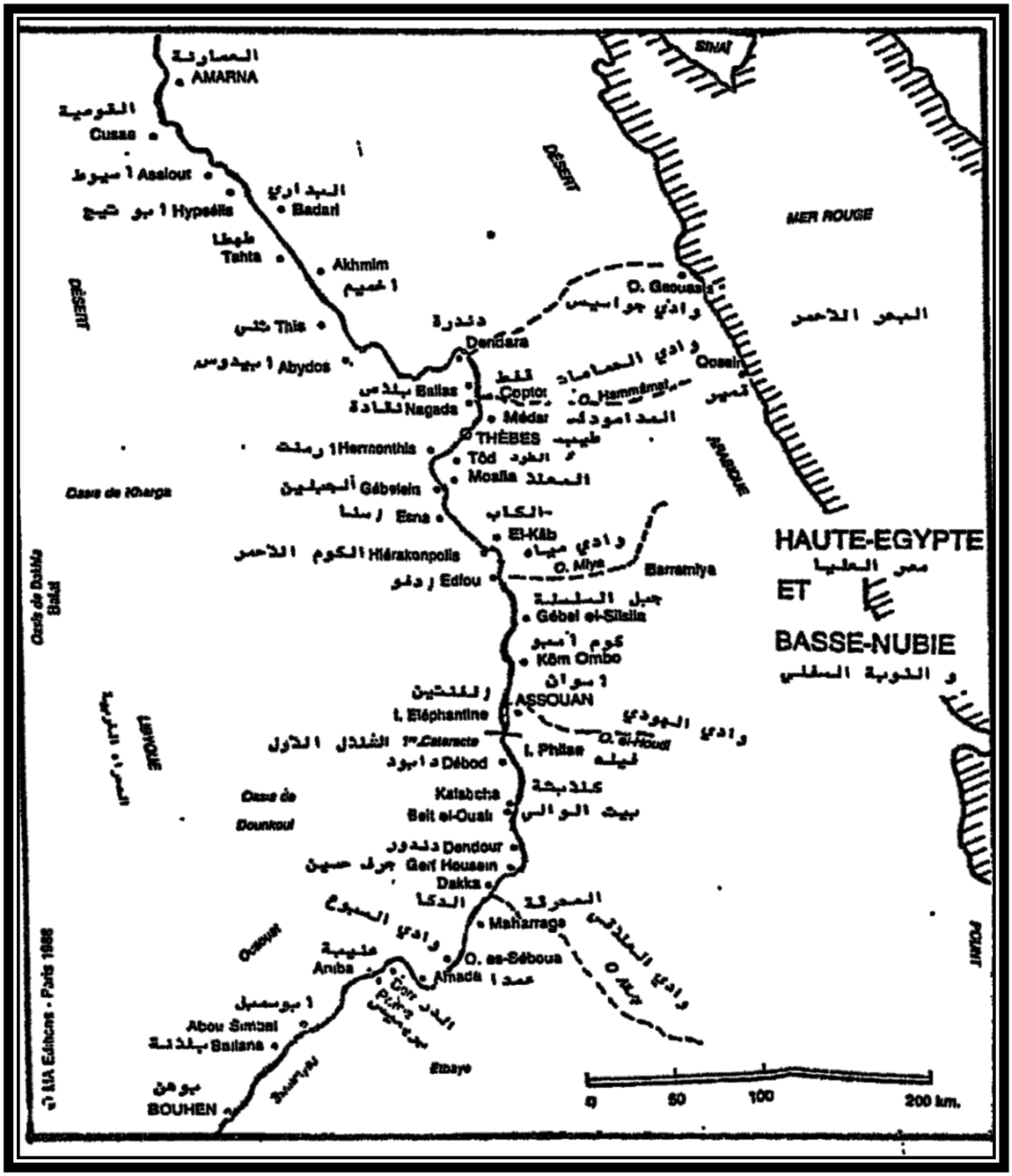

الشكل رقم (2):

أقاليم مصر العليا [1].

1- محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ج1 ، ص250.

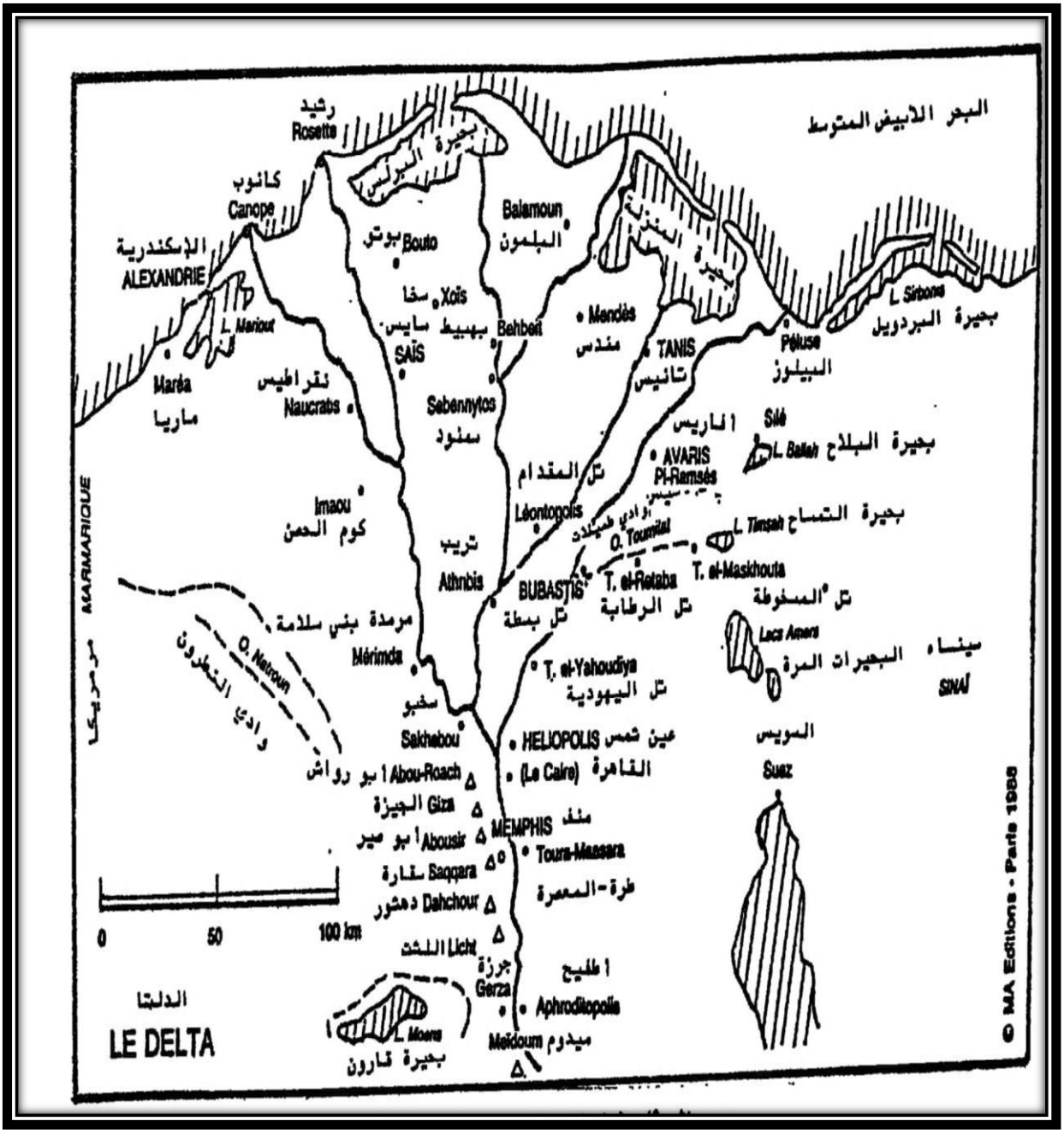

الشكل رقم (3) :

أقاليم مصر السفلى[1]

1- محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر و الشرق الأدنى القديم ،ج1، المرجع السابق ، ص250.

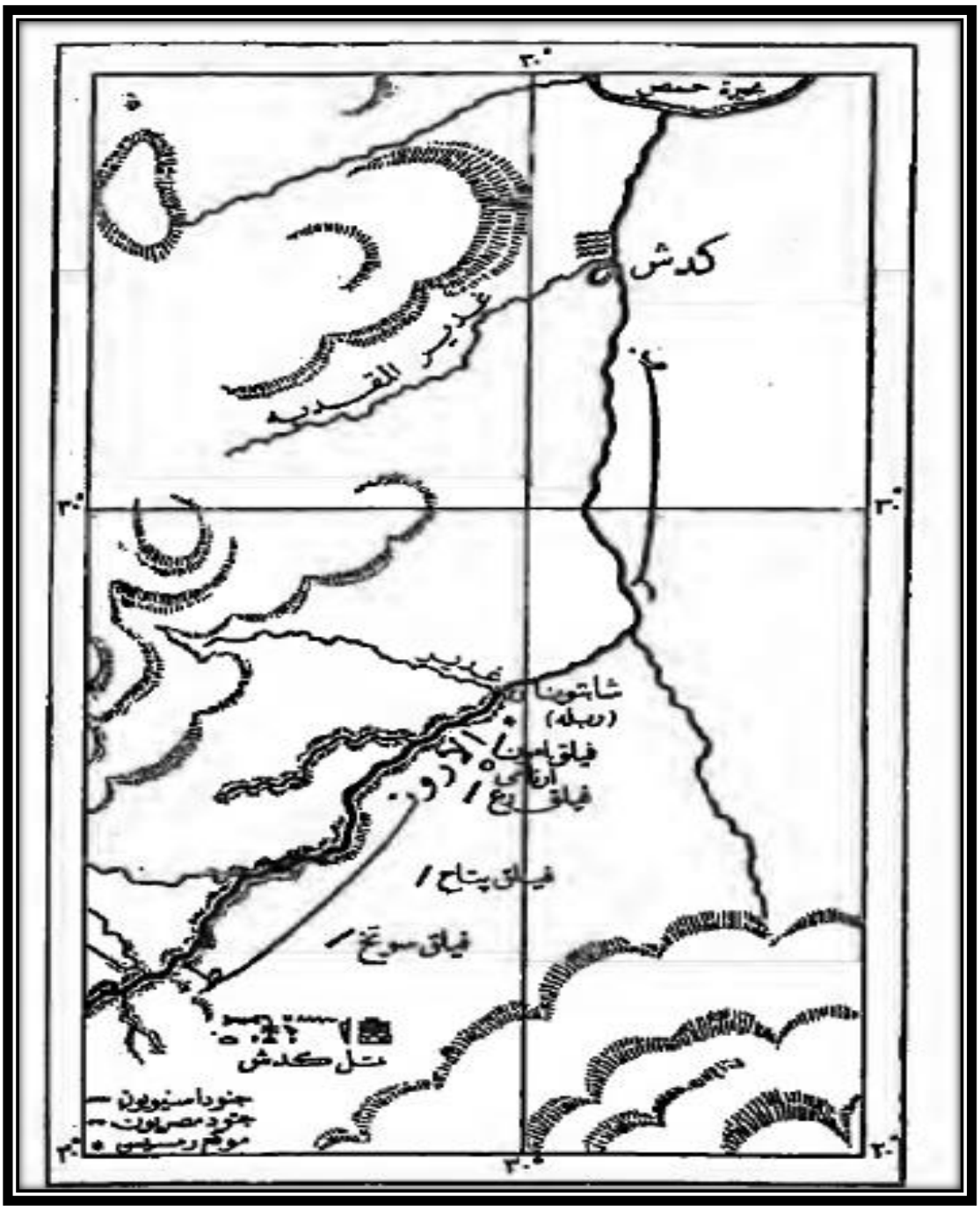

الشكل رقم (4) :

تنظيمات الجيوش المصرية في معركة قادش [1].

1- جيمس هنري بريستد : تاريخ مصر ، المرجع السابق ، ص285.

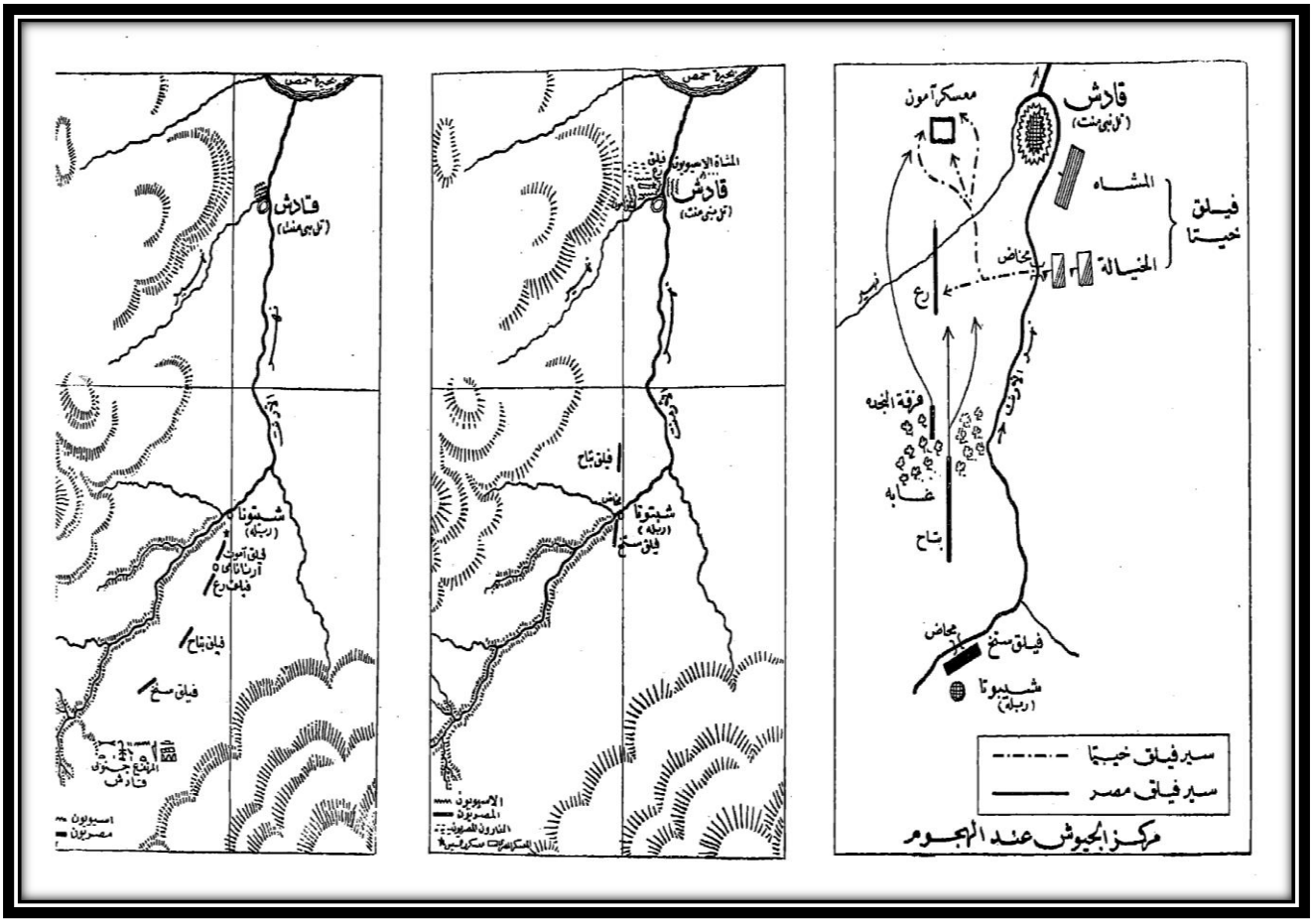

الشكل رقم (5) :

طرق سير الجيوش في معركة قادش .[1]

[1] أحمد قدري : المرجع السابق ، ص 433.

قائمة المصادر والمراجع

أ – المصادر:

الحموي ياقوت : معجم البلدان ، ج2 ، ط1 ، (د ن) ، (د م ن) ، (د س ن) .

ب المراجع :

1- إبراهيم محمد بكر: صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ،(د ط) ،(د ن)،(د م ن)،(د س ن)

2- ----------: موسوعة تاريخ الفراعنة، ج2، ط1، مركز الراية، (دمن)، 2004

3- أبوبكر عبد المنعم : إخناتون ، (د ط) ، دار القلم ، القاهرة ، 1961 .

4- أبونا ألبير: الآراميون في التاريخ، ط 10، دار المشرق الثقافية، العراق، 2010.

5- أديب سمير: تاريخ وحضارة مصر القديمة، (د ط) ، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1997 .

6- ------: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1 ، دار العربي، القاهرة، 2000 .

7- إرمان أدولف : ديانة مصر القديمة، تر: عبد المنعم أبوبكر، ط 1 ، مكتبة مدبولي، مصر 1995 .

8- إسماعيل حلمي محروس : الشرق العربي القديم تاريخه وحضارته ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 1997 .

9- أمهز محمود : في تاريخ الشرق الادنى القديم ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2010 .

10- باقر طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1 ، ط2 ، دارالوراق ، بغداد، 2012 .

11- بريستد جيمس هنري : انتصار الحضارة (تاريخ الشرق الادنى القديم) ، تر :أحمد فخري ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2011 .

12- ---------- : تاريخ مصر من أقدم العصورإلى الفتح الفارسي ، تر : حسن كمال، ط2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996.

13- بيكي جيمس : مصر القديمة ، تر: نجيب محفوظ ، (د ط) ، مطبعة المجلة الجديدة، مصر ، (د س ن) .

14- تشرني ياروسلاف : الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدري ، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1996 .

15- جابر محمد مدحت : بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة ، (د ط) ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1985 .

16- جاردنر سيرآلن : مصر الفراعنة ، تر : نجيب ميخائيل إبراهيم ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1973 .

17- جريمال نيقولا : تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاني، ط2 ، دارالفكر، القاهرة، 1993 .

18- جود الله فاطمة : سوريا نبع الحضارات ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، (د س ن) .

19- الجوهري يسري : جغرافية البحر المتوسط ، (د ط) ، منشأة المعارف ، مصر،1984.

20- حتي فليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر : جورج حداد،ج1،(د ط) ، دار الثقافة، بيروت، (د س ن).

21- ------ : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، تر : أنيس فريحة، (د ط) ، دار الثقافة، بيروت، (د س ن) .

22- حزين سليمان : حضارة مصر، ط 1 ، دارالشروق، بيروت، 1991 .

23-حسن سليم : أقاليم مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ، (د ط) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1944 .

24- ------ : مصر القديمة ،ج1 ، (د ط) ، مكتبة الاسرة ، مصر، 2000.

25- ------: مصر القديمة، ج6 ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1992.

26- ------: مصر القديمة،ج 5 ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1992 .

27- ------: موسوعة مصر القديمة ، ج4 ، (د ط) ، مكتبة الأسرة، مصر، 2000.

28- ------: موسوعة مصر القديمة، ج2، (د ط) ، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012.

29- الحلو عبد الله : صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، ط1، بيسان للنشر والتوزيع ، لبنان، 1999 .

30- خان ظفر الاسلام: تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط3، دار النفائس، بيروت، 1981 .

31- خشيم علي فهمي : آلهة مصر العربية ، مج1، ط1، دار الافاق الجديدة ، بنغازي،1990.

32- خليفة محمد أمين حسن: رؤية عربية في تاريخ الشرق الادنى القديم وحضارته،(د ط)، دار قباء ، القاهرة ، 1998 .

33- الدباغ تقي : الوطن العربي في العصور الحجرية، ط1 ، دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988 .

34- الدبس المطران يوسف: تاريخ سورية الديني والدنيوي،ج1، (د ط)، دار نظير عبود، (د م ن)

35- دربال محمد شفيق وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني)، ج1، (د ط)،
36- مكتبة النهضة المصرية ، مصر (د س ن) .

37- الدريد سيريل : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، تر: مختار السويفي، ط 3 ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996 .

38- دلو برهان الدين : حضارة مصر و العراق ، ط1 ، دار الفارابي ، لبنان ، 1989.

39- ديلابورت. ل : بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)، تر: كمال محرم ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1997 .

40- الذنون عبد الحكيم : تاريخ الشام القديم ، ط1 ، دار الشام القديم ، سوريا ، 1999 .

41- رزقانة إبراهيم و آخرون : حضارة مصر و الشرق الأدنى القديم ،(د ط) ، دار مصر للطباعة، (د س ن) .

42- رمضان عبد العظيم : تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 2001 .

43- زايد عبد الحميد : الشرق الخالد، (د ط)، دار النهضة العربية، (د م ن) ، (د س ن).

44- زناتي أنور محمد : موسوعة تاريخ العالم (مصر) ، ج 1، (د ط) ، (د ن) ، (د م ن) ، (د س ن)

45- سعد الله محمد علي : دراسات في تاريخ مصر والشرق الادنى القديم (في تاريخ مصر القديمة) ، (د ط) ، مركزالإسكندرية للكتاب ، مصر ، 2001 .

46- السعدي حسين محمد محي الدين : في تاريخ الشرق الادنى القديم (العراق- ايران - آسيا الصغرى) ،ج2 ، دار المعرفة الجامعية، مصر ، 1995 .

47- سليم أحمد أمين: العصور الحجرية وما قبل الاسرات في مصرو الشرق الادنى القديم، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2001 .

48- --------: تاريخ العراق - ايران- آسيا الصغرى، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000 .

49- -------: دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (مصر- العراق- ايران) ، (د ط) ، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

50- -------: في تاريخ الشرق الادنى القديم (مصر و سورية القديمة)، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1989 .

51- سليمان توفيق: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ط1 ، دار دمشق، دمشق،1985.

52- السواح فراس : الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم، ط3، دار علاء الدين، دمشق ، 1997.

53- سوسة أحمد : العرب واليهود في التاريخ ، ط2، دار العربي ، دمشق ، (د س ن).

54- ------- : تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج2 ، (د ط) ، بغداد ، 1986.

55- شقير نعوم بك : تاريخ سيناء القديم والحديث، (د ط)، دار الجليل، بيروت،(د س ن).

56- صابر محمد : مصر تحت ظلال الفراعنة ، (د ط) ، (د ن) ، القاهرة ، 1997 .

57- صالح عبد العزيز : الشرق الادنى القديم (مصروالعراق) ، (د ط) ، مكتبة الأنجلو مصرية ، مصر، 2012 .

58- صالح عبدالعزيز وآخرون : موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 .

59- صائب سعد : دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ط1، (د ن) ، دمشق ، 1994 .

60- عرنوق مفيد : صرح و مهد الحضارة السورية ، ط 1 ، دار علاء الدين ، دمشق، 1999 .

61- عصفور محمد أبو المحاسن : المدن الفينيقية ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981 .

62- ---------- : علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم، (د ط)، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1962 .

63- ---------- : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، (د ط) ، مطبعة المصري، مصر 1968.

64- ---------- : معالم حضارات الشرق الادنى القديم، (د ط) دار النهضة العربية، بيروت، 1987.

65- علـى رمضـان عبـده : تـاريخ الشـرق الأدنـى القـديم وحضـاراته ،ج2 ، ط1 ، دار نهضـة الشرق،(د م ن) 2002.

66- على محمد إبراهيم : الأدب المصري القديم ، (د ط) ، (د ن) ، مصر ، 2005 .

67- عيـاش عبـدالقادر : حضـارة وادي الفـرات (مـدن فراتيـة، القسـم الشـوري) ، ط1 ،دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، 1989.

68- فتحي محمد فريد : في جغرافية مصر ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000 .

69- فخري أحمد : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم ، ط 2 ، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة ، 1963 .

70- ------ : مصر الفرعونية، (موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق- م) ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012 .

71- فرح نعيم : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، (د ط) ، دارالفكر،(د م ن)،(د س ن).

72- فرزات محمد حرب، مرعى عيد : دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط2، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سورية، 1994.

73- فلندرزبتري . سير .م : الحياة الإجتماعية في مصر القديمة ، تر: حسن محمد جوهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1975 .

74- فورد دونالدريد : اخناتون ذلك الفرعون المارق، تر: بيومي قنديل، (د ط)، دار الوفاء، مصر، 2000 .

75- ڤالبيل دومينيك : الناس والحياة في مصر القديمة ، تر: ماهر جويجاني ، ط2، القاهرة، 2001 .

76- قدري أحمد : المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية (1570- 1087 ق-م)،(د ط) ، تر : مختار السويفي، دار البستاني، مصر، 1985.

77- كتشن . ا . كنت : رمسيس الثاني فرعون المجد و الإنتصار ، تر: أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 .

78- كونتو .ج : الحضارة الفينيقية ، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، (د ط)، مركز كتب الشرق الاوسط ، (د م ن) ، 1948 .

79- الماجدي خزعل : الآلهة الكنعانية ، ط 1 ، دار أزمنة ، الأردن ، 1999.

80- --------- : الدين المصري ، ط1 ، دارالشروق ، الأردن ، 1999 .

81- محرم كمال :تاريخ الفن المصري القديم ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991.

82- محمد عبد الحليم نبيلة: معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية ، (د ط)، دار الثقافة ، الاسكندرية ، (د س ن) .

83- محمد محمد الفتحي بكير : الجغرافية التايخية دراسة أصولية تطبيقية، (د ط)، مصر، 1999.

84- محمد زناتي أنور : موسوعة تاريخ العالم (مصر)،ج1 (د ط) ، (د ن) ، (د م ن) ، (د س ن).

85- مظهر سليمان : مصر شمال الوادي ، (د ط) ، دار التعاون ، مصر ،(د س ن) .

86- مهران محمد بيومي: الحضارة المصرية القديمة،ج1، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989.

87- ---------- : المدن الفينيقية ،(د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1994.

88- ---------- : المدن الكبر نفي مصر والشرق الادنى القديم، ج2، (دط) ، دار المعرفة الجامعية، مصر، (دس ن) .

89- ---------- : المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم (مصر) ، ج1 ، (د ط)، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1999.

90- ---------- : تاريخ العراق القديم، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989 .

91- ---------- : مصر والشرق الادنى القديم (بلاد الشام)، (د ط)، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1990.

92- موسكاتي سبتينو : الحضارات السامية القديمة ، تر: السيد يعقوب بكر ، (د ط)، دار الرقي، بيروت ، 1986 .

93- مونتييه بيير: الحياة اليومية في مصر، تر: عزيز مرقس منصور، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1997 .

94- ميخائيل نجيب : مصر وسورية في العصور القديمة،(د ط)، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر، 1958.

95- الناضوري رشيد : مدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، (د ط) ، دار النهضة العربية، بيروت، (د س ن) .

96- هامرتن .ا.جون: تاريخ العالم ، تر : وزارة المعراف العمومية ، مج 2 ، (د ط) ،مكتبة النهضة المصرية ، (د م ن) ، (د س ن) .

97- وهيبة عبد الفتاح محمد : الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق، (د ط)، دار النهضة العربية، لبنان، (د س ن) .

98- يوسف طبوزاده زكية : تاريخ مصر القديم من أفول الدولة الوسطى إلى نهاية الأسرات، القاهرة، 2008 .

المجلات :

1- تاكيالين محمد : " سقوط الدولة الحيثية 1200ق-م فشل سياسي أم انهيار بنية بشرية "، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 5 ، الجزائر، 2009 .

2- حياوي غزالة هديب: " أوغاريت مركز تجارة العالم القديم " ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 18 ، العدد 4 ، بغداد، 2010 .

المعاجـــم :

1- عبودي . س.هنري : معجم الحضارات السامية ، ط2 ، دار جروس برس ، لبنان ، 1991 .

الرسـائل الجامعـــية :

1- شوال حسن إسماعيل : الصراع الحيثي الميتاني المصري للسيطرة على سورية في القرنين السادس عشر و الخامس عشر قبل الميلاد ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، إشراف : عمر محمد سليم ، جامعة حلب ، 2005 .

المراجـع الأجنبيـة :

1-chairman james glaisher : the tell amarna tablete , London , 1893.

2- daniele michaux colombot : the royal hittite titre my sun and the wingest sun disk .

3-Hall. H .R : the ancient history of the near east ,London ,1952 .

4- luckenbill. D.D. : " Hittite treaties and letters " the american journal, number3 , university of Chicago , april 1921 .

5- mahon Gregory: history of the hittite , biblical archaeologist , university of california , September , 1989 .

6- Sayce A. H : the Hittite the story of a forgotten empire ,london 1954.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	صفحة
01	شكر وعرفان	
02	مقدمة	أ
	الفصل الأول – دراسة جغرافية سياسية لمناطق أطراف الصراع	
03	دراسة جغرافية سياسية لآسيا الصغرى	08
04	دراسة جغرافية سياسية لمصر	19
05	دراسة جغرافية سياسية لبلاد الشام	31
	الفصل الثاني – دوافع الصراع	
06	الدوافع اقتصادية	53
07	الدوافع سياسية	59
08	ظروف بلاد الشام الداخلية	59
09	رغبة مصر في الحفاظ على بلاد الشام	60
10	رغبة الحيثيين في توسيع نفوذهم الجغرافي اتجاه الجنوب	62
11	دوافع طبيعية	64
	الفصل الثالث – مراحل التنافس	
12	مرحلة التنافس السياسي	69
13	مرحلة التنافس العسكري	79
	الفصل الرابع – انعكاسات الصراع	
14	انعكاسات سياسية	99
15	1- ضعف ونهاية الدولة الميتانية	99
16	2- ظهور الدولة الأشورية	101
17	3- استخدام الجنود المرتزقة في الحروب	104
18	انعكاسات حضارية	106
19	الجانب الاقتصادي	106
20	الجانب الديني	108

21	الجانب الاجتماعي	112
22	الجانب الثقافي	116
23	الجانب الفني والعمراني	120
24	خاتمة	124
25	الملاحق	128
26	قائمة المصادر والمراجع	134
27	فهرس الموضوعات	146